

# كتاب حياتنا في الميزان

للفقير إلى ربه

محمد بن إبراهيم التويجري

الطبعة الثانية

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا .. ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له .. ومن يضلل فلا هادي له .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .  
أما بعد:

حينما يُسرح الإنسان بصره في هذا الكون الفسيح يرى صوراً عجيبةً ، وأنماطاً غريبةً ، في حياة لفيث من الناس ، ذكوراً وإناثاً ، شباباً ، وشيباً ولو أطلقنا العين لتبصر ، والأذن لتسمع ، والعقل ليحكم في حال الأمة ، لرأينا ما لا يسر ... ولسمعنا ما نكره ... وأدركنا أننا في فتنة تدع الحليم حيراناً .

شغلني وأرّقني ما رأيت من خلط عجيب ، وتناقض غريب ، في تطبيق أحكام الله بين أفراد الأمة رجالاً ونساءً ، كباراً وصغاراً ...  
ويزداد الأمر خوفاً وفزعاً ، وحسرة وألماً ، إذا كان هذا الخلط والتناقض في حياة الفرد نفسه ، في شكله وأخلاقه وأسلوب حياته .

إن ربنا واحد ، وكتابنا واحد ، ورسولنا واحد ، والقبلة واحدة ، والحق واحد ... فلم الفرقة والاختلاف ...؟

لِمَ لا نأخذ الماء عذباً صافياً من منبعه ونطرح ما سواه ؟

أليس بين أيدينا النور ؟ فَلِمَ نتخبط في الظلمات ...؟

أليست عقولنا من أجل كرامتنا ، فَلِمَ نتردى إلى رتبة البهائم ...؟

لقد ساءت حال الأمة ، وصار أبناؤها ملاماً شتى ، فرقتهم الأهواء ، والشهوات ، والشبهات حتى صار ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٥٣] .

ألا ترى بين أفراد الأمة ، بل بين أفراد الأسرة الواحدة ، صوراً مختلفةً ، تدل على فساد المزاج ، وسوء في الفهم ، وضعف في الرؤية ، واتباع للهوى وانقياد للشيطان : ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ

قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء/ ٣٨] .

ولو تأملت أفراد أسرتك ، أو أفراد أسرة من الأسر ، لرأيت ذلك واضحاً بين أفراد كل أسرة إلا ما رحم ربك : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَهِسَ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ/ ٢٠] .  
وخذ ما يعرق له الجبين ، ويسر الشياطين ، ويُغضب رب العالمين ، فقد ترى الأب تقياً صالحاً ... والابن فاجراً داعراً !

وقد يكون الأب مؤذناً ... والابن مغنياً !

وقد ترى الأب قد أطلق لحيته ... والابن قد حلقها !

وقد تشاهد الأب يعمل في حقل تربوي ... وابنه في بنك ربوي !

وقد ترى الأب يأكل الطيبات ... وابنه يتعاطى المسكرات والمخدرات !

وقد يكون العكس !

وقد ترى الأم طيبة فاضلة ... وابنتها متبرجة فاتنة في لباسها في مشيتها في كلامها ... تمارس الرذيلة ، وتسخر من الفضيلة ، تارة مطربة ، وتارة راقصة ، وقد يكون العكس .

وهكذا تموج الأمة بين مد وجزر ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين الحق والباطل ، تعيش على الفوضى والتمزق ، وتسهر على الخلاف والفرقة ، وترقد على الفساد والغفلة .

أجسام بلا عقول ، وصور بلا معاني : ﴿ مُذَبَّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [النساء/ ١٤٣] .

فإذا ما اجتمعت هذه الأضداد من خير وشر ، من حق وباطل ، في شخص واحد ، فتلك هي المصيبة التي يندى لها الجبين ، ويحار لها العقل ، وتنفطر لها الأكباد : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج/ ٤٦] .

ألست ترى رجلاً قد يكون من أهل بيتك ، أو من أقاربك ، أو جيرانك ، أو زملائك ، ألست تراه في أحوال عجيبة .

تارة مع المصلين ... وتارة مع المغنين .

تارة في المسجد ... وتارة في المرقص .

تارة يغتسل من النكاح ... وتارة يغتسل من السفاح .

تارة بيده السواك ... وتارة بيده السجائر .

تارة يأكل الطيبات ... وتارة يتناول الخبائث .

تارة يسمع القرآن ... وتارة يسمع الألحان .

تارة يقبل الحجر الأسود ... وتارة يقبل ذات الخمار الأسود .

﴿ أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ مِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة / ٨٥] .

ما الذي أصاب الأمة حتى وقعت في هذا الخلط العجيب ...؟

أليس كل راع مسؤولاً عن رعيته ...؟

ألا تتبعنا مواطن الداء لعلنا نجلده ...؟

إننا نداوي الأبدان من عللها ، فهل نعالج القلوب من أمراضها ...؟

قال الحسن البصري : أصول الشر ثلاثة : الكبر ... والحرص ... والحسد .

فالكبر منع إبليس من السجود لآدم ، والحرص أخرج آدم من الجنة ، والحسد حمل ابن آدم على قتل أخيه .

وهذه أخطر أمراض القلوب ، فهلاً عالجننا قلوبنا لتبرأ منها ...؟

إن في صلاح القلب صلاحاً لسائر الجسد ، وفي فساد القلب فساداً لسائر الجسد .

قال النبي ﷺ : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » متفق عليه (١) .

إذا صلح القلب صلحت اليد فلا تسرق أو تعتدي ، وصلح الفرج فلا يزني ، وصلح اللسان فلا يقول إلا خيراً ، وصلحت الرجل فلا تمشي إلا إلى خير ، وصلحت الأذن فلا تسمع الغناء والمعازف والغيبة والنميمة ، وصلحت العين فلا تقع على ما حرم الله ...

وإذا فسد القلبُ فسد سائر الجسد ، وظهرت آثاره على الأعضاء والجوارح ، فلا تمضي إلا إلى فساد ، تنقل صاحبها من معصية ، إلى معصية ومن صغيرة إلى كبيرة ، ومن مكروه إلى محرم .

وإنما يصلح أمر القلب بالتوحيد ، فإذا استنار القلب بنور التوحيد عرف ربه ومعبوده ، وما يجب له ، وأدرك ما ينفعه وما يضره ، فاطمأن القلب لذكر ربه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد / ٢٨] .

وهذه بعض الصور والمشاهد من حياتنا على سبيل المثال لا الحصر .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩) .

## الصلاة

الصَّلَاةُ لقاء يومي بين الخلق والخالق ، أكرم الله بها من آمن به ، وجعلها صلة بينهم وبينه ، يتقربون بها إلى الله ...

فيكبرونه .. ويتلون آياته ، ويحمدونه على نعمه ، ويستغفرونه من ذنوبهم ، ويسألونه من فضله ، فيستجيب دعاءهم ويزيدهم من فضله ، ويغفر لهم ذنوبهم ، فمن لم يفقه أهميَّة الصلاة فهو بعيد من نفسه ، بعيد من ربِّه : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود/ ١١٤] .

رأيتُ رجلاً إذا أذن المؤذن للصلاة ضاقت الدنيا عليه ، وأخذ يضرب في فجاج الأرض حيران ، تارة يأخذ ذات اليمين ، وتارة ذات الشمال ، بحثاً عن ملجأ يكتنه في غرفة خاوية ، أو تحت شجرة نائية ، أو على ظهر سيارة متحركة أو ساكنة ، يحرق السجائر بغمه ، ويسمع الغناء بأذنه ، ويسخر من عباد الله بلسانه وقلبه : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة/ ٥٨] .

قد جمع الشَّرَّ من أطرافه ، وفرقه من قلبه على أعضائه ، في وقت مبارك ، المصلون فيه في المسجد : ﴿ تَرْتَلِمُهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

أبدانهم طاهرة ، وقلوبهم مخبئة ، وأرواحهم خاشعة ، وأعينهم باكية ، وألستهم رطبة بذكر الله يتلون كتاب الله ، ويؤدون ما افترض الله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَائِعُونَ ۝ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ ٣ ﴾ [المؤمنون/ ١-٣] .

فإذا قُضِيَت الصلاة عاد الجميع لمزاولة أعمالهم بجديَّة وهمَّة ونشاط ، وإذا به يعود أشعث أغبر من مخبئه ، بعد هروبه من الأذان الذي أفرعه ، والصلاة التي أوحشته فصار قريباً للشيطان : ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۝ ٣٨ ﴾ [النساء/ ٣٨] .

فقلت : أما أن لمثل هذا أن يبصر الطريق ، ويدرك أهميَّة الصلاة ، ويجتمع مع الجماعة ، في عصر تنوعت فيه وسائل المعرفة مقروءة ، ومسموعة ، ومرئية .

ما هذا الهروب ...؟ ما هذا العزوف ...؟ ما هذا الجفاء ...؟ ما هذه الوحشة ...؟

فناديته وسلّمت عليه ، وجلست إلى جواره ، متفائلاً أن يكون تقارب الأجسام سبباً لتقارب القلوب .  
فسألته عن الصّلاة ؟ فقال : أنا لا أصلي ؟ قلت : ولم ؟ قال : لأن الله ليس بحاجة إلى  
صلاتنا ، فأى فائدة نجنيها من الصلاة كل يوم خمس مرات في المسجد ؟

قلت : أتعلم أن الله خزائن السموات والأرض ، ونحن الفقراء ، وهو الغني الحميد ، خلقنا  
حفاةً عراةً ، صفر الأكف ، ضعاف الأجسام ، لا نملك ضرراً ولا نفعاً ، ولا هداية ولا علماً .  
ثم بفضلِهِ ورحمته سبحانه أطعمنا ، وسقانا ، وكسانا ، وقوانا ، وعلمنا ، وهدانا ، وسخر لنا  
ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ علينا نعمه الظاهرة والباطنة ، فالله هو الغني ونحن  
الفقراء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر/ ١٥] .

قال : وهذا يدل على أن الله ليس بحاجة إلى صلاتنا ، فهو الغني وصاحب الفضل  
والمعروف على عباده فجميع النعم منه .

قلت : رأيت لو أن أحداً أهدى إليك ساعةً ، أو ذلك على الطريق ، أو سقاك شربة ماء على  
ضماً ألا تشكره ؟ ألا تحبه ؟

قال : بلى ، وأتمنى أن أكافئه على معروفه بأحسن منه ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .  
قلت : فإذا فوجئت يوماً بأنه أهداك سيارة ثمنية ، وداراً فسيحة ، وملاًها بما تحتاج من طعام  
وأثاث ، فماذا يكون موقفك منه ؟

قال : إن صار ما تقول فلا ريب أنه أحاطني بمعروفه ، وغمرني بإحسانه ، وبالطبع يحبه  
قلبي ، لمعروفه عليّ ، وإحسانه إليّ ، وعسى أن أوفق لشكره بلساني ويدي .

قلت : فأخبرني ... من خلقك وصورك ؟ من أسكنك في الأرض ؟ من يطعمك كل يوم ؟  
من يسقيك كل يوم ؟ من كساك ما توارى به عورتك ؟ من خلق فيك السمع والبصر ،  
وزودك باليدين والرجلين ، وأعطاك لساناً تتكلم به ، وعقلاً تفكر به ، ورزقاً تنعم به ؟

قال : هو ربي لا إله إلا هو خالق كل شيء .

قلت : من أرشدك إليه ، ووفقك وهداك للإيمان به ؟

قال : هو سبحانه : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجْدَلَهُ ، وَلِيَأْمُرْ بِشِدَا ﴾ [الكهف/ ١٧] .

قلت : أرأيت لو أن الله طردك من أرضه فأين تسكن ؟ أو منعك رزقه فمن أين تأكل ؟ أو غور المياه فمن أين تشرب ؟ أو رفع الهواء فمن أين تتنفس ؟ أو تركك ضالاً فكيف تهتدي ؟ إذا أصابك الجوع من تسأل ؟ إذا مرضت من تدعو ؟ إذا ضاقت عليك الحيل من تسأل ؟ إذا أصابك الهم من تدعو ؟ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

من المنعم على الدوام أبداً ؟ من الغني الذي لا تنقضي خزائنه ؟ من المنعم على الغني والفقير والمحتاج ؟ من الذي يُطعم ولا يُطعم ؟ ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَنمَّوْنَ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِنَّهٗ يَجْحَرُونَ ﴾ [النحل/ ٥٣] .

من الذي لا يظلم مثقال ذرة ؟

من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً ؟ وجعل لها رواسي ؟ من جعل بين البحرين حاجزاً ، هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج ...؟

من رفع السماء بلا عمد ؟ من زينها بالنجوم ؟ من خلق الشمس والقمر ؟

من خلق الخلق ورزقهم ؟ من قسم بينهم معيشتهم ؟ من الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ؟ من له الخلق والأمر ؟ من الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ؟

قال : الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

قلت : ومن هذه صفاته ، وهذا خلقه ، وهذه قدرته ، وهذه عظمته كيف تعصيه ؟ .

أتدري من أنت ؟ ... أتدري من تعصي ؟ ... وفقك الله لا تنظر إلى عظم المعصية ، وانظر إلى عظمة من تعصيه ، مع سوابغ نعمه ، وغناه عنك ، وفقرك إليه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

ألا ما أعظم لطف الله بعباده ، وما أوسع حلمه على من عصاه : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى/ ١٩] .

ألا إن أجمل الجميل ، أن نعترف لصاحب الجميل بفضله ، ونشكره على جميل صنعه .

أعلمت صنعة تفق أمام صانعها كل يوم خمس مرات ...؟

أعرفت صانعاً يجمع كل مصنوعاته كل يوم خمس مرات ، ليتفقدھا ، ويطمئن علیھا ، لتؤدي دورھا في الحياة علی أكمل صورة ؟ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١-٢] .

إن ربك يدعوك كل يوم خمس مرات ، في خمسة أوقات ، لتقف بين يديه وقوف الصغیر بين يدي الكبير ، تحمده سبحانه ، وتشكره علی نعمه ، وترجو رحمته ، وتسأله من فضله ، وتستغفره من ذنوبك ، وتستعين به وتستهديه .

تالله إن صنعة تقف بين يدي خالقها كل يوم خمس مرات لن يصيبها خلل أو يعثرها فساد ، أو يؤرقها خوف أو حزن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نِزْلًا مِّنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .  
إنك تطيع من فوقك من رؤسائك فيشهدون لك بالوفاء والإخلاص وتقبض منهم أجراً محدوداً يفنى بعد حين .

إن وقوفك في الصلاة تناجي ربك دليل علی طاعتك لربك ، وإخلاصك له وإيمانك به ، فأی خير أنت فيه : ﴿ وَيَشِرُّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٧] .  
وأی ربح تجنيه : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .  
فهل يستويان ...؟ كلا ... فعتاء المخلوق محدود ، وعتاء الله مطلق ... وما عند المخلوق يفنى ، وما عند الله باق .

إن الله دعاك إلى سؤاله ليعطيك ، ودعاك إلى استغفاره ليغفر لك ، ودعاك إلى دعائه ليستجيب لك : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر/ ٦٠] .

فأی ربح يجنيه من يصلي ...؟...؟ وأي خسار يحل بمن لا يصلي ...؟  
ألا ما أكثر الأخطاء والآثام والمعاصي في حياتنا اليومية ... نحن كل يوم بين أخذ وعتاء ، بين فقر وغنى ، بين صحة ومرض ، بين حزن وسرور ، بين خوف وأمن ، بين إحسان وإساءة ، بين ربح وخسارة .



أليس في الصلاة متنفسٌ عن ما نكره من هذه المزعجات ...؟ بلى وربِّي ... يقف المسلم في صلاته يناجي ربَّه يسأله العون والتأييد ، يستغفره من ذنوبه ، يسأله العفو إن أساء إلى أحد من الخلق ، أو أسرف على نفسه ... إنه يدخل في صلاته وهو بين نعم تستوجب الشكر والحمد ، وبين آثام اقترفها يسأل ربَّه أن يغفرها .

فيطمئن قلبه بذكر ربِّه ، وتستلذ نفسه بمناجاته لربِّه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/ ٢٨] .

ومن أجل هذا كان الرسول ﷺ إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة ، يجد فيها راحة لنفسه من هموم الحياة ، وطمأنينة لقلبه بمناجاة ربِّه ، لأنها تصله بخالقه ومحبوبه : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [الذين يظنون أنهم ملقوا ربهم وأنهم إليه راجعون] [البقرة/ ٤٥-٤٦] .  
أتطمع في الدخول على الملوك والرؤساء كل سنة ، فضلاً عن كل شهر ، لقضاء حاجة أو الاعتذار عن زلة ؟ قد تدرك بعض هذا ، وقد يمضي عمرك ولم ترهم ، فضلاً عن أن تدخل عليهم ...  
أتطمع في الدخول عليهم كل يوم مرة ؟ قد يجول بخاطرك هذا .

أتطمع أن تدخل عليهم كل يوم خمس مرات ، وتمكث ما شئت ، وتقول ما شئت ، وتساءل ما شئت ، في أي وقت شئت ؟ أظنه بعيداً جداً إن لم يكن مستحيلاً ...

إن ملك الملوك سبحانه يدعوك كل يوم خمس مرات حتماً لتناجيه ... لتدعوه ، لتسأله ... لتستغفره ، طاهر البدن ، حاضر القلب ، في صلاة جمعت جميع ألوان التعظيم للخالق سبحانه طهارةً وتوحيداً ، تكبيراً وتحميداً ، قولاً وفعلاً ، خشوعاً وخضوعاً ، ركوعاً وسجوداً : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء/ ١٠٣] .

فمن أحب أن يكلم الله فليدخل في الصلاة ، ومن أحب أن يكلمه الله فليقرأ القرآن ، إذا استعنت فاستعن بالله ، وإذا سألت فاسأل الله وحده ، إن كنت ضالاً فسل الله الهداية فهو الهادي إلى سواء السبيل : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا وَلِيكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٧٨] .

وإن كنت مذنباً ومسرفاً على نفسك فسل الله العفو والمغفرة فهو العفو الغفور .  
وإن كنت فقيراً فسل الله الغنى فهو الغني الحميد ...

وإن كنت جاهلاً فسل الله العلم فهو العليم الخبير.. وإن كنت ضعيفاً فسل الله القوة فهو القوي العزيز: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فقل : يا رحمان ارحمني ، يا رزاق ارزقني ، يا عفو اعف عني .  
إنك لا تجد الخير كله ، والرزق كله ، واللطف كله ، والأنس كله ، والعفو كله ، إلا عند من له الخلق والأمر ، عطاءً بلا حدود ، ورحمة وسعت كل شيء .

فمن ابتغى ذلك كله فليتصل بخالقه عن طريق الصلاة ، ويسأله ويستغفره ويدعوه فإن الله يقول : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَيُؤْمِنُوا بِلِعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

إنما المؤمنون اخوة يحب الواحد منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، ولكل واحد منهم على الآخر حقوق ، ومن لطف الله بعباده أن جمعهم في المسجد كل يوم خمس مرات ، فيسلم بعضهم على بعض ، ويُعاد مريضهم ، وتُشهد جنازتهم ، ويُعلم جاهلهم ، ويُسأل عن غائبهم ، ويُحسن إلى فقرائهم ...

يجتمعون في بيت الله بقلوبهم ، بعد أن فرقت بين أجسادهم جدران بيوتهم ، يتسابقون إلى الخيرات ، وتضاعف لهم الحسنات ، ويتفاضلون بالتقوى لا بالعرق الأقوى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات/ ١٣].

ألا تحب أن يغفر الله لك ذنوبك...؟ فإلى الصلاة بخشوع وخضوع بين يدي رب العالمين ...  
قال النبي ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ألا تحب سُكنى الجنة...؟ فإلى الصلاة في المسجد مع إخوانك المسلمين ...  
قال النبي ﷺ : « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح » متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥١) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٦٢) ، ومسلم برقم (٦٦٩) .

ألا تحب القرب من ربك...؟ فإلى الصلاة...؟

قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»<sup>(١)</sup>.

أتريد الفوز والفلاح؟... فإلى الصلاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾  
[المؤمنون/ ١-٢].

أتريد الخير كله؟... فإلى الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾<sup>(٤٥)</sup> [العنكبوت/ ٤٥].

أتريد النجاة من النار؟... فإلى الصلاة... قال الله سبحانه عن المجرمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾<sup>(٤٣)</sup>  
قَالُوا لَوْ نَكُنْ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ [المدثر/ ٤٢-٤٣].

إنك لو أقمت خباء له ألف وتد ، فلن تستفيد منه إن لم يكن له عماد في الوسط ، والصلاة هي عمود الإسلام... فاحفظها وبادر إليها: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾<sup>(٢٣٨)</sup> [البقرة/ ٢٣٨].

إنك إن داومت على عملك وأتقنته ، قبضت راتبك آخر الشهر كاملاً ، فإن تغيبت وأهملت حُسم عليك بقدر غيابك وإهمالك ، وكذا الصلاة يكتب الله لك منها بقدر أدائك لها ، وحضور قلبك فيها: ﴿نُؤَيَّلُ لِلْمُصَلِّينَ﴾<sup>(٤)</sup> الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ [الماعون/ ٤-٥].

الصلاة مكيال ، فمن أوفى استوفى ، ومن طفف أساء ونقص أجره: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٨)</sup> [الحشر/ ١٨].  
إن الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، من تركها فقد كفر .

قال النبي ﷺ: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

إن الصلاة لأهميتها من بين سائر شرائع الإسلام ، فرضها الله على رسوله مباشرة ، أسرى به ربه إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء وأمره بها ، هي خمس في العمل ، وخمسون في الأجر ، ليظل المؤمن على صلة بربه كل يوم يكبره ، ويحمده ، ويسأله ، ويستغفره ، ويقم التحيات له .

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٢) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٨٢) .

وذكر النبي ﷺ الصلاة يوماً فقال: « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » أخرجه أحمد<sup>(١)</sup> .

وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة ، لأنه إما أن يشتغل عن الصلاة بما له ، أو بملكه ، أو بوزارته أو بتجارته .

فإن اشتغل عن الصلاة بماله حُشر مع قارون ، وإن اشتغل عنها بملكه حُشر مع فرعون ، وإن اشتغل عنها بوزارته حُشر مع هامان ، وإن اشتغل عنها بتجارته حُشر مع أبي بن خلف . فهل أدركت أهمية الصلاة ، وعظيم بركتها ؟ وهل عرفت أي مصيبة تحل بمن تركها ، أو أخرها ، أو ضيعها ؟ .

قال : سدّد الله خطاك : إن الجهل بدين الله يورد المهالك ، وطاعة الشيطان خطوات إلى النار ، واتباع الشهوة والهوى سبب للفساد والحرمان : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ٩] .  
أنخاف شرطياً في الأرض ... ولا نخاف خالق السماء والأرض ... ؟

أنشكر من أهدى إلينا هدية ... وننسى خالقنا وخالقه وخالق الهدية ... ؟  
أنطيع من يعدنا الفقر ، ويأمرنا بالفحشاء ... ونعصي من يعدنا مغفرة منه وفضلاً ... ؟ : ﴿ فَإِنهَا لَا نَعْمَى الْأَبْصُرُ وَلَكِن نَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج/ ٤٦] .

وأسفاه على دهرٍ مضى ، وعمر انقضى ، وأنا مع الذين إن قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً : ﴿ بِحَسْرَتِنَا عَلَى مَا فَرَطْتُمْ فِي جَنَابِ اللَّهِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ لِمَنْ أَلْتَحِيزِينَ ﴾ [الزمر/ ٥٦] .

اللهم إنني أسألك إيماناً كاملاً ، و يقيناً صادقاً ، وقلباً خاشعاً ، ولساناً ذاكراً ، و توبة نصوحاً .  
اللهم يا واسع المغفرة ، ويا من وسعت رحمته كل شيء ، اغفر لي وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٦٥٧٧) .

## الغيبة والنميمة

إنما المؤمنون إخوة ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .  
والغيبة والنميمة من الآفات التي تفصم هذه الأخوة ، وتهدم بنيان الأمة ، وتمزق شملها ، وتورث الحسد والحقد ، وتقلب المجتمع ناراً ملتهبة تأكل الأخضر واليابس ، فكيف طابت نفوس البعض منا باستحسانها ، والجلوس على موائدها .  
رأيت رجلاً يصلي ويتلو كتاب الله في بيت الله ، لكنه لا يكف عن الغيبة والنميمة في كل طريق يمر به ، أو مجلس يحل به ، يأكل أعراض الناس بلا خوف ولا حياء ، وكأنما يلتهم أطيب الطعام ، ولذيذ الشراب ، سحابة ليله ونهاره في قيل وقال ، وسخرية واستهزاء .  
فقلت : أما آن لهذا أن يفقه أن الصلاة لربّه تنافي هذا وأمثاله .  
إن الصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ، إذا تحولت إلى حركات بدنية ، تُؤدّي حال غيوبة عقلية ، ولا خير في قراءة بلا تدبر ، ولا في نظر بلا تفكير ، ولا في علم بلا عمل .  
إن الغيبة والنميمة من مساوئ الأخلاق التي تمزق شمل الأمة ، وتهدم بنيانها .  
فالغيبة هي : ذكرك أحاك بما يكره بقول ، أو إشارة ، أو غمز ، أو كتابة ، وهي محرمة في دين الله .  
قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات / ١٢] .  
وقال النبي ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه » أخرجه مسلم <sup>(١)</sup> .  
والنمّام هو : الذي ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم ، والنميمة حرام في شرع الله .  
قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [١٠] هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنِيمٍ ﴿١١﴾ [القلم / ١٠-١١] .  
وقال النبي ﷺ : « لا يدخل الجنة نمّام » متفق عليه <sup>(٢)</sup> .  
ومر النبي ﷺ بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » متفق عليه <sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٦) ، ومسلم برقم (١٠٥) .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢١٨) ، ومسلم برقم (٢٩٢) .

وقال النبي ﷺ: « تجدون شر الناس ذا الوجهين ، الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » متفق عليه (١) .

ألا ما أخطر فضول الكلام ... وما أكثر الذنوب التي تحصدها الألسنة ... وما أعظم العقوبة عليها عند رب العالمين .

إن فضول الكلام كالغيبة والنميمة ، والكذب والمراء ، والسخرية والاستهزاء ، آفات مهلكة . أما يستحي أحدنا إذا نشرت صحيفته غداً وإذا أكثر ما فيها قيل وقال ونحوها من فضول الكلام الذي ليس من أمر دينه ولا دنياه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء/ ٣٦] .

فالقلب واللسان والجوارح خلقها الله لعبادته ، فلا تشغلها بغير طاعته من قول أو عمل صالح ، فالقلب للإيمان والتوحيد ، واللسان لذكر الله وحمده وتمجيده ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَيِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ بِحَبْتِهِمْ يَوْمَ يَقُونَهُ، سَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٤] .

إن فضول الكلام لا ينحصر ؛ بل المهم محصور في كتاب الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٤] .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأقوال والأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٤٩٤) ، ومسلم برقم (٢٥٢٦) .

## إضاعة الوقت

الوقت إناء للعمل ، والعمل إما نافع أو ضار ، والإنسان آلة العمل .  
وإضاعة الوقت أعظم من الموت ، ذلك أن الإنسان بالموت إنما يخسر الدنيا ، ولكنه بإضاعة  
الوقت سدىً إنما يخسر الدنيا والآخرة .

وقد أمرنا الله بحفظ الوقت ، وشغله بالأعمال الصالحة من صلاة وصيام ، وحج وإحسان ،  
وذكر وشكر ... وعمل صالح ، وجهاد ، وطلب معاش : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ  
وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَلِيِّنَ ﴿١١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [ الأنعام / ١٦٢-١٦٣ ] .

رأيت رجلاً يمزق وقته شر ممزق ، ويبعثر جهده وفكره فيما لا طائل تحته ، ولا خير بعده ،  
من جلوس في الطرقات ، وتتبع للعورات ، وانهماك في المحرمات ، وإطلاق لسانه  
وسمعه وبصره فيما حرم الله : ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [ النساء / ٣٨ ] .

فقلت : أما آن لمثل هذا أن يتفطن لنفسه ، ويستيقظ من رقدته ، ويسخر بقية أيامه في  
الأعمال الصالحة ، وفيما يقربه من ربه ، وينفعه في دنياه وآخريته .

إنه أحد المخاطبين بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ  
أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [ الإسراء / ٣٦ ] .

وقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّهِنَّ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [ الحجر / ٩٢-٩٣ ] .  
وقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [ الحج / ٧٧ ] .

فكيف فاته لفظ هذه الآيات ، ومعناها ، وثمرتها ، وتهديدها ...؟  
فأي غراس يغرس مثل هذا في حياته ؟ وأي حصاد يحصد غداً بعد مماته ؟ وبأي وجه يلقي  
ربه غداً ؟

ألهدا خلق الناس ...؟ كلا : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَّى  
اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [ المؤمنون / ١١٥-١١٦ ] .

إنه لا سعادة إلا باتباع الحق ، والسماء والأرض خلقت بالحق فيجب أن نتعرف على هذا الحق ونعمل

به ، وندعوا إليه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

إن الإسلام يرسم لكل مسلم منهاجاً يستغرق جميع أوقاته ، ويملؤها بالأعمال الصالحة ، ولا يترك فرصة للشيطان أن يعيث بحياة الإنسان ويجعله أسير شهوته .

الصلوات الخمس ، والنوافل ، والأعمال الصالحة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر والدعوة الى الله ، وتعليم شرع الله ، والصوم ، والكسب الحلال ، والذكر ، والجهاد : ﴿ وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر/ ١-٣].

إن الأشجار العالية لا تدع فرصة للحشائش الضارة أن تنمو وتتكاثر ... فلنبادر إلى الأعمال الصالحة فإنها تنسف السيئة بإذن الله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴾ [هود/ ١١٤].

إن القلب إذا امتلأ بالحق فلن يتسع للباطل : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢ ﴾ [الإسراء/ ٨١-٨٢].

فالوقت والعمر يمضيان ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق ، شغلتك بالباطل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

ألا إن الكسب مستطر ، والجزاء منتظر ، فهل علمنا ؟ وإذا علمنا فهل عملنا ؟ فكل أحد سوف يجزى بعمله : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۝٣٩ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ أَلْوَفَى ۝٤١ ﴾ [النجم/ ٣٩-٤١].

واعلم أن الليل والنهار خزانتان من خزائن الله ، فلينظر أحدكم بما يملأ خزانته .

نهارك ضيفك فأحسن إليه ، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك ، وإن أسأت إليه ارتحل بدمك وكذلك ليالك : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

اللهم وفقنا للأعمال الصالحة ، وجنبنا الفواحش والآثام ، واجعلنا من عبادك الأخيار .



## الغناء والمعازف

الإنسان مجموعة من الغرائز ، هذبها الإسلام ، وسلك بها الصراط المستقيم .  
والغناء إنما يهيج شهوة الفرج ، ويوقظ الغرائز في الذكور والإناث ، فيكون سبباً للزنا الذي  
يفسد البيوت ، ويمزق الأسر ، ويقرنها بالبهايم : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ  
سَبِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٣٢] .

رأيت فتىً يغني بين صوت المزامير ، وتصفيق الحاضرين ، وحوله رفاقه يرقصون  
ويضحكون ، ويأكلون ويشربون ، لا همّ لأحدهم أن يتقدم خطوة ، أو يتسنى ذروة ، فيعلم  
جاهلاً ، أو يعالج مريضاً ، أو يرد عدواً ، أو يواسي محتاجاً .  
فقلت : أهؤلاء من جسد الأمة الإسلامية الذي أثنخته الجراح ، وركلته الأحداث ،  
وأحاط به الأعداء من كل جانب : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف/ ٨] .

كيف يغني هذا وأخوه في القدس يبكي ...؟ هذا يمسك آلة الطرب بيديه ، وأخوه أمام  
الأعداء يمسك السلاح بيديه ... وهؤلاء يضحكون ، ويرقصون ويلعبون ... وإخوانهم  
في سجون الأعداء أسرى يعذبون ويقتلون ... إن لم نشاركهم بالمال والنفس ، فهلاً  
شاركناهم بالشعور والوجدان ...

أليس المؤمنون أخوة ...؟ بلى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ  
اللَّهُ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

وتأخذك الدهشة ، ويعتصر في فؤادك الحزن والألم ، وأنت ترى الرجل من أمة الإسلام  
يملك محلاً لتسويق أشربة الفيديو ، التي سجل عليها بالصوت والصورة الأغاني  
الخليعة ، والأفلام الماجنة ، والتمثيلات السخيفة ونحوها مما تفرزه دور الفساد ،  
وعاهرات الشرق ، وداعرات الغرب ، من الرذيلة والعفن ، بأصوات ناعمة ، وأجساد  
عارية ، وكلمات داعرة ، وأزياء فاتنة .

تُسوّق بأموال المسلمين ، وتُسمع في بيوت المسلمين ، ويبيعها ويشترها المسلمون .

فإن شئت صوتاً ، وإن شئت صوتاً وصورة ، يعكف عليها الشباب ، وتسهر عليها البنات ، وتلتف حولها الأسرة ، فأى فساد بعد هذا ...؟ : ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشُّهُورَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ [مريم/٥٩-٦٠].

وآخر يبيع آلات اللهو والطرب والموسيقى ، البائع مسلم ، والمشتري مسلم ، والمغني والسامع مسلم .

إن هذا ينخر في كيان الأمة أكثر مما يؤمله أعداؤها .

ألا ما أخسر البضاعة ... وما أخسر المتاجر فيها ... وبئس الطرب والمطرب : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون/١١٥].

إن العزف والغناء حرام في شرع الله .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦﴾ [لقمان/٦].

وقد صح عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم كابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما تفسير (لهو الحديث) بالغناء .

وقال النبي ﷺ : « ليكوننَّ من أمتي أقوام يستحلون الجِرَّ والحريِرَ والخمرَ والمعازفَ » أخرجه البخاري (١) .

ولم يرخص الرسول ﷺ في الغناء إلا في حالات خاصة كالعرس والعيد ، وفق الضوابط الشرعية التي وردت في الأحاديث المروية ، خالياً من الفحش والبذاءة ومن الزور والباطل .

فإباحة الشريعة للغناء والدف في العرس لهدف سام ، وغرض شريف ، للفصل بين النكاح الحلال ، والنكاح الحرام : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ١١٥﴾ [النساء/١١٥].

والرخصة في الغناء واللهو في العيد بشرطه ، سببه أنه يوم فرح عام هو يوم العيد .

(١) أخرجه البخاري معلقاً (٥٥٩٠) ووصله أبو داود (٤٠٣٩).

قال النبي ﷺ: « إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا » متفق عليه (١).

فأين هذه الرخصة المقيدة بزمانها ومكانها وألفاظها، من السهرات الحمراء، والمراقص الماجنة، والأجساد العارية، والأغاني الخليعة، التي تُنتهك فيها الأعراض، ويهدر فيها الشرف ويُنخر فيها الطهر، والعفاف: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَهِسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ [سبا/ ٢٠].

إن فرق الغناء والرقص والتمثيل قد لوثت بيئة المسلمين، وأفسدت شبابهم، وفرقت أسرهم، وأوقعت بينهم العداوة والبغضاء، وصدتهم عن ذكر الله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا لَوْ أَنَّا نَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَرْزُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [الأنعام/ ٣١].

فله كم يصرف من الأموال في شراء هذه الأفلام...! وكم يهدر من الأوقات في سماعها ورؤيتها...! وكم أفسدت من البيوت وسببت من الجرائم...! ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [الحديد/ ١٦].

فهل تيقننا خطر المصيبة...؟ وإذا تيقننا فهل نستبدل السيئة بالحسنة... والرذيلة بالفضيلة... والشر بالخير... اللهم اهدنا... ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل وارزقنا اجتنابه.  
ألا ما أخطر الأمر: ﴿رَبَّنَا عَلَّمَكِ تَوْكَلَنَا وَإِلَيْكَ آتَيْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ [المتحنة/ ٤-٥].

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٥٢)، ومسلم برقم (٨٩٢).



فساءت أحوالها وتتابعت أحزانها : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة/ ٢٠٨] .

إن الله أكرم أمة الإسلام برسول أحل لها الطيبات ، وحرم عليها الخبائث : ﴿الَّذِينَ  
يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف/ ١٥٧] .  
إن الخمر أم الخبائث ، ومفتاح كل شر ، وهي محرمة في شرع الله : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ  
وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [١٠] إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ  
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة/ ٩٠-٩١] .

وقال النبي ﷺ « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » أخرجه مسلم <sup>(١)</sup> .  
وأخبر النبي ﷺ أنه أتاه جبريل عليه السلام فقال : « يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها  
ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقها ومستقيها » أخرجه  
أحمد <sup>(٢)</sup> .

فله كم أفسدت من العقول ...؟ وكم أهدرت من الأموال ...؟ وكم سببت من الجرائم ...؟ .  
كم حانات الخمر في العالم ؟ وكم مصانع الخمر في العالم الإسلامي ؟ وكم صالات  
الخمر والمراقص في فنادق المسلمين ؟ وكم يؤمها من الرجال والنساء ؟ وكم يحصل  
بسببها من الفساد والرذيلة ؟ : ﴿وَإِنِّي أَتْلُوكَ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ  
وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ﴾ [الأعراف/ ١٥٥] .

اللهم احفظ عقولنا ، ويسر أمورنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .  
اللهم اهدنا واهد بنا ، واجعلنا سبباً لمن اهتدى .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٠٠٣) .

(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٩٧) .

## خلق اللحية

إن الله خلق الإنسان ، وبيّن له المنهج الذي يسير عليه في شكله ومظهره ومطمه ومشربه وعباداته ومعاملاته : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل/ ٨٩] .

واللحية زينة الرجل المسلم ، أبقاها الرسول ﷺ ، وأمر بإعفائها وإكرامها ، وأمر بإحفاء الشارب . لقد أضل الشيطان كثيراً من الناس ، وزين لهم سوء أعمالهم ، فأمرهم بحلق ما أمروا بإبقائه ونهاهم عن حلق ما أمروا بحلقه ، ففعلوا وأطاعوه ، مع أنه يدعوهم إلى عذاب السعير : ﴿ لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَا تَخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء/ ١١٨] وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلَيْبَتِكُنَّ إِذَا نَالُوا الْأَنْعَامَ وَالْمَرْءُ نَفْسُهُ فَلْيُغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء/ ١١٨-١١٩] .

رأيت رجلاً مفتول الساعدين ، صلى في المسجد مع المسلمين ، ثم خرج إلى صالون الحلاقة ، وهناك جلس بين يديه رجلٌ ، فأخذ يحلق بيده التي يتشهد بها لحية هذا الرجل ، ويسرح شاربه .

ثم أخذ الأجرة ، وقدم التهنتة ( نعيماً ) فأجابه صاحبه ( جميعاً ) ، ثم خرج وتلاه آخر وثالث ورابع إلى وقت الصلاة الأخرى .

فقلت : وا أسفاه ... أهكذا تموت الصلاة خارج المسجد فلا يبقى لها أثر ...؟ وا حسرتاه ... أهكذا تُنتهك أحكام الشرع جهراً بلا حياء ، وتصير نعيماً للجميع ...؟ أهكذا يُستحسن القبيح ، ويتعاون أفراد الأمة الواحدة على الإثم والمعصية ...؟

إن الصلاة صلة بين العبد وربّه ، يُسلم فيها العبد نفسه لخالقه ، فيكبره ، ويحمده ، ويخضع له ، ويطيع أمره ، ويجتنب نهيه ، ويسأله حاجته ، ثم يقدم التحية له .

ومن هنا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْتِغَاءِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

فأي أثر بقي من الصلاة عند من يحلق لحيته ، ويعصي الله ورسوله بين خلقه . لقد تسربت إلى مجتمعنا الإسلامي عادات وتقاليد لا يقرها الشرع كتقصير اللحي ، أو حلقها ، وحسنت للناس من قبل شياطين الإنس والجن ، حتى انخدع بها وتجراً على حلقها الوجيه والعامي والشريف والوضيع ، والكبير والصغير ، جهراً لا سراً ، عمداً لا سهواً : ﴿أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر/ ٨].

ولقد طابت نفوس بعض الناس بحلقها ، حتى لا تكاد تجد مجتمعاً في وزارة أو مدرسة ، أو شارع أو مسجد إلا وتجد حائق اللحية يواجهك أينما توجهت ، وحيثما حللت ، وهذه مصيبة . فإذا ما علمت أن بعضهم يتخذ من يوم الجمعة أفضل الأيام موعداً لحلقها ، عرفت إلى أي مدى وصل عداء السنن ، وطاعة الشيطان ، وتلاعبه بالعباد : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور/ ٦٣].

وأعظم من ذلك أن صار حلق اللحية مظهراً جمالياً عند البعض ، يُتفقد كل وقت فلا يشهد جمعة أو عيداً ، أو حفلاً ، أو زواجاً إلا بعد حلق لحيته : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج/ ٤٦].

إن حلق اللحية حرام في شرع الله ، ومعصية لله ورسوله ﷺ : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥].  
عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « خالفوا المشركين ، وفروا اللحي ، وأحفوا الشوارب » متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٨٩٢) ، ومسلم برقم (٢٥٩) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « جزوا الشوارب ، وأرخوا اللحى ، خالفوا المجوس » أخرجه مسلم (١) .

وقد ورد النهي عن حلق اللحى ، والأمر بإعفائها وتوفيرها في أكثر من اثني عشر حديثاً عن رسول الله ﷺ بروايات مختلفة « أعفوا ، أو فوا ، أرخوا ، أرخو ، وفروا » معناها كلها تركها على حالها ، وقد جاءت هذه الروايات الصحيحة بصيغة الأمر ، والأمر للوجوب ولا صارف له هنا . وقد قال النبي ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق عليه (٢) .

بل اهتمامه ﷺ بتوفير لحيته طول عمره ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، دليل واضح على وجوب إعفاء اللحية ، وتحريم حلقها ، فلماذا نخالف أمره ، ونترك الاقتداء به : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب / ٢١] . إن حلق اللحية جهراً بالمعصية ، وقد قال النبي ﷺ : « كل أمتي معافى إلا المجاهرون » متفق عليه (٣) .

إن في حلق اللحية تشبهاً بالكفار ، وقد قال النبي ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » أخرجه أحمد وأبو داود (٤) .

إن في حلق اللحية مخالفة للفطرة ، وقد قال النبي ﷺ : « عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء » أخرجه مسلم (٥) ، والعاشرة المضمنة في حديث آخر . وإهٍ لعقلٍ لا يفكر ، وقلبٍ لا يتذكر ولا يخاف ولا يستحي من ربه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة / ٧٤] .

لقد ضحك الشيطان من أكثر الخلق ، وجعلهم من جنوده المطيعين له ، يرغبهم في المعاصي ، وينفرهم من الطاعات .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٠) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) ، ومسلم برقم (٢٩٩٠) .

(٤) حسن / أخرجه أحمد برقم (٥١١٤) ، وأبو داود برقم (٤٠١٣) .

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٦١) .



ألست ترى الذي يحلق لحي الناس مسلم ، ومن تُحلق لحيته مسلم ، هذا يحلق بيده ، وذاك يدفع من جيبه .

والكل شريك في معصية الرحمن ، وشريك في طاعة الشيطان : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس/ ٦٠-٦٢] .

إن الرجل حقاً من يخرج بنفسه وشكله من نعومة الأنوثة إلى فحولة الرجولة ، ويترك ما يحب الشيطان إلى ما يرضي الرحمن .

حلق اللحية طاعة أم معصية ؟ لا أحد يجروء على القول بأنه طاعة ، فلم يبق أن يقال إلا أنه معصية ، لما ورد فيها من الأحاديث التي أمرت بإعفائها وتوفيرها : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧] .

وما جزاء المعصية لله ورسوله ؟ قال الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ، يُدْخِلْهُ نَارًا كَالَّذِي أُخْرِجَ فِيهَا، وَكُلُّهُ فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٤] .

إن اتباع هوى النفس ، وخطوات الشيطان ، وعادات ما أنزل الله بها من سلطان إذا اجتمعت على العبد زينت له سوء عمله ، وأوردته عذاب السعير : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا لَشَيْطَانٍ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [لقمان/ ٢١] .

واه لشباب الإسلام ... شعر اللحية يُحلق ويُلقى في المزابل ... وشعر الشارب يُؤذي بطوله كل آكل وشارب .

فهل علمنا أن ذلك معصية ؟ ... وإذا علمنا فهل نكرم ما أكرمه رسول الله ﷺ ونهين ما أهانه ؟ ... نسأل الله أن يهدينا ويوفقنا إلى ما يحب ويرضى ...

# أكل الربا

لقد أكرم الله الإنسان بعقل يفكر به ، ويد يعمل بها ، ومنهج يسير على هديه .  
والربا كسب خبيث لا بركة فيه ، ذلك أنه يؤدي في النهاية إلى حبس الأموال في يد فئة قليلة من المرابين ، تستعبد الناس وتتحكم في مصائرهم .

وقد أحل الله لنا البيع لما فيه من البركة ، وحرم علينا الربا لما فيه من الظلم والفساد والاستبعاد .  
رأيت شاباً رُزق فطنة وذكاءً ، وشرفاً ومالاً ، وأبت عليه نفسه والشيطان إلا أن يعمل في بنك ربوي ، مقابل مرتب يُغرف له من نهر من دم ، فيأكل الربا ، ويشهد عقود الربا ، ويدعو إلى الربا ، ويؤكّل غيره الربا ، ويكتب عقود الربا ، في ظلمات بعضها فوق بعض .  
قد جمع لنفسه الشر من أطرافه ، وحارب الله ورسوله ، وأطاع الشيطان : ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء/ ٣٨] .

فقلت : واأسفاه ... أترأه يجهل الحكم في هذه المسائل ؟ أم زين له الشيطان عمله ، ورضي لنفسه أن يحارب الله ورسوله ... ؟

إن الله فصل في قضية الربا بقوله سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة/ ٢٧٥] .  
فأي بيان بعد هذا ... ؟

إن الربا كسب خبيث محرم ، وسحت لا خير فيه ، ومعصية لله ورسوله ، وسبب للإفلاس ، وموجب لللعن من الله ورسوله ، فكيف تجرأ البعض منّا على أكله أو كتابته أو الشهادة عليه ؟  
إن أكل الربا سبب لحرب من الله ورسوله ، وكفى به خطراً على الفرد والأمة .  
ومن الذي سيثبت أو ينتصر في حرب ضد الله ورسوله : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُكُمْ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة/ ٢١] .

إن أكل الربا حرام في شريعة الإسلام بأي صورة كان ، أخذاً وعطاءً ، كتابةً وشهادةً ؛ لما فيه من ظلم الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ، وصرْفهم عن فعل الخير من إحسان ، أو قرض حسن ، أو إنظار معسر .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٧٨] فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٧٩] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، وشاهديه وقال : « هم سواء » أخرجه مسلم <sup>(١)</sup> .

إن البنوك الربوية زحفت إلى ديار الإسلام بأنظمتها وقوانينها ، حتى أصبحت تضاهي المساجد كثرة ، وتنافس المحلات التجارية زبائن .

وماتت القلوب حتى صار دخول المسجد ودخول البنك الربوي على حد سواء ... فساءت أحوال الأمة ... وقلّت البركة ، وكثر الظلم ؛ لأنها خالفت منهج الله ، وحاربت أحكام الله ورسوله .  
فأي خسارة للأمة بعد هذا ...؟

والمؤسف أن أموال المسلمين تستثمر عن طريق هذه البنوك الربوية ، والذي يكتب عقد الربا مسلم ، والذي يأكل الربا مسلم ، والذي يؤجر البنك الربوي مسلم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران/ ٨] .

لقد أحل الله البيع لأنه كسب طيب ، وحرّم الربا لأنه كسب خبيث ، يمحّقه الله في الدنيا ، ويعذب صاحبه في الآخرة : ﴿ يَمْحُوكُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الرِّبَا وَالصَّدَقَاتُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة/ ٢٧٦] .  
قال ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله سبحانه : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم/ ٥٩] .

غي واد في جهنم ، وإن أودية جهنم لتستعيز من حره ، أعد الله ذلك الوادي للزاني المصر على الزنا ، ولشارب الخمر المدمن عليه ، ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ، ولأهل العقوق ، ولشاهد الزور ، ولامرأة أدخلت على زوجها ولدًا ليس منه .

فهل نقرأ كتاب ربنا ؟ وإذا قرأنا هل نتدبر ؟ وإذا تدبرنا هل نعمل ؟ نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٩٨) .

## أمة كريمة ومصيبة عظيمة

إن أيّ أمة بلا منهج ينير لها الطريق ، ويمهد لها السبيل ، تفقد كثيراً من خصائص الإنسانية ، وتظل ترتع في الشهوات ، وتتخبط في الرذائل والآثام ، تخلط الطيب بالخبث وتمزج الحسن بالقبيح ، لا تعرف معروفاً ، ولا تنكر منكراً ، تعطلت لديها ملكة العقل والسمع والبصر ، فتردت إلى أقل من رتبة الحيوان : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان / ٤٤] .

وهذه الأعاجيب في سلوك البشر لا غرابة فيها ، فإن أي أمة بلا منهج يضل أفرادها هكذا : ﴿ يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [محمد / ١٢] .

لكن الغريب أن يزحف هذا السلوك الذي يخلط الطيب بالخبث ، ويمزج الحسن بالقبيح ، إلى أمة أكرمها الله بمنهج فيه تبيان كل شيء ، من حلال وحرام ، وآداب وأخلاق ، وآيات ومعجزات ، وعبادات ومعاملات ، وأكرمها الله برسولٍ بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، يدعو إلى كل خير ، ويحذر من كل شر ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران / ٦٤] .

واعجباً لأمة الإسلام ... ربها نور : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور / ٣٥] .. وكتابتها نور : ﴿ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ [التغابن / ٨] .. ونبينا نور : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة / ١٥] .

واعجباً لها ، ربها نور ، وكتابتها نور ، ونبينا نور ، تعيش في الظلمات : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَاحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام / ١٢٢] .

إن الحق واحد ، والباطل متعدد ، والنور واحد ، والظلمات متعددة ، فهل يستويان ... ؟ كلا :

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ [١٩] ﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴾ [٢٠] [فاطر ١٩-٢٠] .

هل يجتمعان ... ؟ كلا : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء / ١٨] .

إن الليل لا يجتمع مع النهار ، ولا النور مع الظلام ... فكيف أباح البعض منا لنفسه أن يجمع بين الحق والباطل ، وبين النور والظلمات فهل يستويان ؟ كلا : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [فاطر/ ١٢] .

ألا ما أكثر الظلمات التي نتخبط فيها ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً ، ذكرواً وإناثاً ، عمداً لا سهواً ... الكذب ظلمة ... وقول الزور ظلمة ... والغيبة والنميمة ظلمة ... وأكل الربا ظلمة ... وأكل مال اليتيم ظلمة ... والنفاق ظلمة ... والسرقه ظلمة ... والزنا ظلمة ... وفعل قوم لوط ظلمة ... والرياء ظلمة ... والفرقة ظلمة ... والحسد ظلمة ... والكبر ظلمة ... وعقوق الوالدين ظلمة ... وإيذاء المسلمين ظلمة ... والقذف ظلمة ... وشرب الخمر ظلمة ... وتناول الخبائث ظلمة ... وقطع الطريق ظلمة ... والرشوة ظلمة ... وترك الصلاة ظلمة ... وسماع الغناء ظلمة ... والغش ظلمة ... والإسبال ظلمة ... وحلق اللحي ظلمة ... والخديعة ظلمة ... والسحر ظلمة ... ونزع حجاب المرأة ظلمة ... والتختم بالذهب للرجال ظلمة ... والإسراف ظلمة ... والصور والتصوير ظلمة ... وأذى الجار ظلمة ... والتطيف كيلاً أو زناً ظلمة ... والتشبه بالكفار ظلمة ... والاعتداء بغير حق ظلمة ... وكفر النعم ظلمة ... والظلم ظلمات ... وإنك لتجد هذه الصفات والأفعال كلها أو بعضها متمثلة في حياة البعض منا ، بل قد لا يكاد يسلم من بعضها أحد إلا ما رحم ربك .

وا أسفاه ... إن مصيبتنا في التفریط واحدة ، فمقلٌ ومستكثر ... واه للظلم والظالمين : ﴿ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الشورى/ ٤٥] .

لقد أكرمنا الله بعقل نعرف به الحق من الباطل ، ومنهج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فيه تبيان كل شيء ، ورسول تركنا على البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

واه لأمة الإسلام إنها بلا قرآن لا تساوي شيئاً وهي بالقرآن تساوي كل شيء : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء/ ١٠] .

لقد أكرمنا الله بنعم لا تعد ولا تحصى ، فهل انتفعنا بها ، واستعملناها فيما ينفعنا ، ويصلح أحوالنا ، ويرضي ربنا ...؟

لقد أكرمنا الله بالعقل ... فهل فكرنا به في ملكوت السموات والأرض ؟ ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس/ ١٠١].

لقد أكرمنا الله بالقلب ... فهل تدبرنا به ما ينفعنا وما يضرنا ؟

لقد أكرمنا الله بالعين ... فهل أبصرنا بها ما ينفعنا وما يضرنا ؟

لقد أكرمنا الله بالأذن ... فهل سمعنا بها الحق وأحسن القول ؟

إن تعطيل هذه النعم سبب للحرمان ، ودخول النار : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوا بَلْ هُمْ صُمٌّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

لقد ساءت أحوال البعض منّا ، وتبدلت المفاهيم ، وعميت البصائر ، وانكست بعض القلوب ، حتى صارت لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً ، ترى الحسن قبيحاً ، والقيح حسناً ، والخير شراً والشرّ خيراً ، والحق باطلاً ، والباطل حقاً : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

أعمال كالسراب ، وقلوب من التقوى خراب ، وذنوب بعدد الرمل والتراب .

واهِ لآمة ... تتلو كتاب الله ، تقيم حروفه ، وتضيق حدوده .

واهِ لآمة ... تهتم بالشكل ، وتغفل عن الجوهر .

ألا إن كتاب الله إنما أنزل للإيمان به ، والعمل به ، بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، وتحليل حلاله ، وتحريم حرامه ، والوقوف عند حدوده ، والاعتبار بما فيه من القصص ، والتفكير في آيات الله الكريمة ومخلوقاته العظيمة : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد/ ٢٤].

ماذا أصاب الأمة ؟ ما الذي صرفها عن كتاب ربها ، وهدى نبيها ؟ لقد غشيتها فتنة تدع

الحليم حيران : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ [الانشقاق/ ٢٠-٢١].

أما جعلها الله خير أمة أخرجت للناس رسالتها الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾ [آل عمران / ١١٠].

فما بالها اليوم نسيت رسالتها ، وسبب خيريتها ؟ ... فلا تأمر بالمعروف ، ولا تنهى عن المنكر . بل زاغت أبصارها ، وعميت قلوبها ، حتى صارت لا تعرف معروفاً ، ولا تنكر منكراً ، ونشأ فيها من يرى المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً .

وساءت أحوالها حتى قام فيها من يأمر بالمنكر ، وينهى عن المعروف ، ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، لا حياء يمنعه ، ولا قوة تردعه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران / ١٠٠-١٠١].

واهِ لأمّة الإسلام ... أليست قد وصفها الله وأكرمها بالوحدة والأخوة والمحبة حين قال : ﴿ إِنَّ هَذِهِ ءَأُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء / ٩٢].

وحين قال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات / ١٠].

وحين قال رسوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » متفق عليه <sup>(١)</sup> .

فما الذي دهاها اليوم حتى أصبحت أمماً شتى ، تمزقها الفرقة والأهواء ... والعداوة والبغضاء ؟ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ بَلِّغْهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام / ١٥٩].

واعجباً لأمّة الإسلام ... أما وصفها الله بالوسطية حين قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة / ١٤٣].

فما بالها اليوم تركت الوسط ، وجنحت ذات اليمين ، وذات الشمال ، ومالت إلى الغرب مرة ، وإلى الشرق مرة وما اتجهت إلى الله مرة : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة / ٥٠].

إنه لا سعادة لها إلا بالإسلام ، وما سواه مردود غير مقبول : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران / ٨٥].

واعجباً لأمّة الإسلام ... أما أكرمها الله بكتاب فيه تبيان كل شيء حين قال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٣) ، ومسلم برقم (٤٥) .

تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً وَبَشَّرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النحل/ ٨٩].

فما بالها اليوم أعرضت عن كتاب ربها ، ومصدر عزها ؟

إن أول كلمة من دستورها « اقرأ » وهي لا تحسن أن تقرأ ، وإن قرأت لا تحسن أن تفهم ، ولو فهمت لا تحسن أن تعمل : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد/ ٢٤].

واعجباً لأمة الإسلام ... أما أكرمها الله برسولٍ هو خير الرسل ، تركها على البيضاء ليلها كنهارها ، رحيم بها حريص عليها : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٢٨﴾ [التوبة/ ١٢٨].

فما بالها اليوم ضلّت الطريق فلا تأخذ بسنته ولا تنتفع بهديه ؟ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١].

لقد ساءت حال الأمة حتى فقدت وعيها ، فلا هي تشعر أو تستشعر عدوها من صديقتها ، وما ينفعها مما يضرها ، لأنها ضلت الطريق ، وعميت عن الحق ، فصار عدوها يأكل خيراتها ، ويفسد دينها ، ويعبث بأخلاقها : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا يُمِمْتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ [البقرة/ ١١٧].

لقد تسرب الداء إلى هذه الأمة فمزق صفوفها ، وأزاحها عن مكانها ، وشلّ قواها ، حتى صارت تابعة لا متبوعة ، سامعة لا مسموعة ، مأمورة لا أمرة ، مقلدة لا مجتهدة ، مستهلكة لا منتجة ، لقد أنزلتها ذنوبها من القمة إلى القاع .

تؤمن بالله ولا تطيع أمره ، وتقرأ كتاب الله ولا تحسن فهمه ، وتحب رسول الله ولا تتبع هديه ، وتكره الشيطان وتطيع أمره .

فأئى مرض بعد هذا ...؟ وأئى ضلال بعد هذا ...؟ وأي ظلم وفساد بعد هذا ...؟ .

فهل عرفنا بعد هذا أننا مصابون؟ ... وإذا علمنا أننا مصابون فهل تدارسنا من أين جاءت الإصابة؟ ...

هل مصيبتنا في عدم وجود الدواء الذي يجتث جذور البلاء والفساد في الأمة ؟

أم مصيبتنا في عدم توفر الطبيب الماهر الذي يشخص الداء ، ويصف لصاحبه نوع الدواء كما وكيفاً ؟

أم أن المريض نفسه يرفض الدواء ولا يقبل العلاج ؟

حقاً إن العلة تدور بين هذه الأمور الثلاثة ولا تتجاوزها بحال من الأحوال ، فلننظر من أين

أصيبت الأمة ... لنعرف كيف تنجو الأمة .



## من أين أصيبت الأمة

هل مصيبة الأمة في عدم توفر الدواء الناجع...؟ أم مصيبتها في عدم توفر الطبيب القادر على التشخيص...؟ أم مصيبتها أنها لا تقبل العلاج...؟

أما الأول فلا ريب فيه ، إذ أن الدواء موجود ونتيجته مضمونة ، إذا أحسنا الأخذ منه ، والعمل به : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٢] .

قرآن فيه تبيان كل شيء ، وتفصيل كل شيء ، من أخبار الأولين والآخرين ، وخلق السموات والأرضين ، فيه النور والهدى ، والرحمة والشفاء ، فهلا انتفعنا به ؟

كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٤١-٤٢] .

كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تحدى الله به الثقلين أن يأتوا بمثله فما استطاعوا ولن يستطيعوا ولو تعاونوا : ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٨] .

ولما كان الخلق عرضة للأمراض أنزل الله لهم شفاءً ، ويسره لهم ، وتكفل بحفظه لهم فلا يفقدونه أبداً : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩] .

فالقرآن شفاء من أمراض الشهوات ، وأمراض الشبهات : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي بَعَثَ إِبْرَاهِيمَ بِطَوَاتِلِهِ إِذْ يُبَايِعُ بِأَكْبُفَيْهِ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ وَهُوَ الْقَائِلُ يُحْضِرُ اللَّهَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت/ ٤٤] .

هذا عن الدواء والشفاء ، فماذا عن الطبيب والمريض ؟

إن المشكلة تكمن فيهما ... طبيب مريض ، ومريض يزعم أنه سليم ، فمتى يلتقيان ؟ ... وإذا التقيا فهل يستفيدان ويفيدان ، ليزول البلاء ، ويحصل الشفاء .

ألا ما أكثر المرضى ، وأقل الأطباء !

هل استشعر الطبيب أنه مسئول عن هؤلاء المرضى ، يدعوهم إلى الخير ، ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ... ؟ أما قال الله ﷻ : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

هل اطمأن الطبيب إلى عظمة رسالته ليعمل بإخلاص وتفان ... ؟ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

هل جند العالم نفسه لدعوة الأمة إلى الخير ، ونقلها من الظلمات إلى النور ... ومن الفساد إلى الصلاح ... ومن الجهل إلى العلم ... ومن الشك إلى اليقين ... ومن الاعوجاج إلى الاستقامة ؟ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

وقال النبي ﷺ : « لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم » متفق عليه (١) .

هل تنبه العالم إلى أنه مسئول أمام ربه عن علمه ماذا عمل به ... ؟ ﴿ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُوتِيَهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنِيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

هل عمل به ؟ هل بلغه أم كتبه ... ؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ [١٥٩] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠] .

ألا ما أعظم رسالة العالم ... وما أعظم منزلته : ﴿ أَمَنْ هُوَ فَنَبِّئْهُ أَنَّهُ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ٩] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٩) ، ومسلم برقم (٢٤٠٦) .

فهل عرف العالم هذه المنزلة وقام بحقها...؟ : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمِ بِالْقِيَمَةِ حَسَنًا إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل/ ١٢٥].

إن العلماء ورثة الأنبياء... والأنبياء ورثوا العلم وعلموه... فهل تعلم العالم العلم لوجه الله؟... وهل يعلم لوجه الله لا يرجو جزاءً ولا شكوراً إلا من ربه، هذا منهاج الأنبياء: ﴿ وَيَقْوُوا وَلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِن آجِرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ [هود/ ٢٩].

إن حسن الخلق يعدل درجة الصائم القائم... فهل تحلى العالم بحسن الخلق في كلامه... في تقريره... في تأديبه؟... إن سوء الأخلاق في الناس مرض يزال بطريق التعريض لا التصريح... وبطرق الرحمة والرفق لا بالتوبيخ والعنف... فهل يتنبه العالم لذلك...؟ : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

لهذا ينبغي ألا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، إلا من كان فيه ثلاث خصال: أن يكون عالماً بما يأمر به، عالماً بما ينهى عنه، وأن يكون عدلاً فيما يأمر به وينهى عنه، وأن يكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه.

إنه لا خير في علم لا يصدقه عمل... فهل عمل العالم بعلمه؟... فلا يأمر بالشيء إلا ويكون أول من يفعله... ولا ينهى عن شيء إلا ويكون أول من يتعد عنه: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون] ﴿ [الصف/ ٢-٣].

إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا. ألا ما أخطر التسرع في الفتيا.. فهل راقب العالم ربه في فتواه؟... فإن علم حقاً أفتى... وإن شك قال لا أدري... وإن جهل أحال على غيره: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء/ ٣٦].

إن العلم يورث الخشية والتقوى... فهل ظهرت آثاره على العالم في كلامه وهيبته، وسيرته وحركته، ومسكنه ومركبه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر/ ٢٨]. فلنخلص النية لله... ونتحلى بحسن الخلق... ونعمل بما علمنا... ونتقي الله ونخشاه...

ونحدث الناس بما يعرفون : ﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة/ ٥].

اللهم اهدنا سواء السبيل .

هذا عن الطيب ... فماذا عن المريض ...؟

ولعلنا نتساءل :

ما بال هذا المريض لا يقبل علاجاً ، ولا يستسيغ دواءً ...؟

كيف رضي لنفسه أن يعيش سقيماً لا صحيحاً ، ضالاً لا مهتدياً ، جاهلاً لا متعلماً ...؟

أشعر أنه مريض ؟ ... أعرف أنه تائه ؟ ... أحس أنه غافل ؟ ... كلا ... إنه لا يشكو شيئاً من ذلك .

وهذه هي المصيبة ! ... أعرف ربّه حقاً ؟ ... أعرف نبيّه حقاً ؟ ... أعرف نفسه حقاً ؟

تالله لو عرف ذلك حق المعرفة لوجدته بإذن الله طائعاً لا عاصياً ، مؤمناً لا فاسقاً ، مستقيماً لا

منحرفاً : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ

دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

إن الجهل يعالج بالعلم لكن أجهل الجهل أن يجهل الإنسان أنه يجهل ، وهو ما يسمى

بالجهل المركب الذي لا يلتفت صاحبه إليك ، أو يرغب في الحديث بين يديك ، ويراك

جاهلاً بين يديه : ﴿ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر/ ٢٢].

قد يقطع الحديد الحجر ... وقد تذيب النار الحديد ... وقد يطفئ الماء النار ، لكن هذا

الصنف المريض من الناس وهو لا يشعر ، قد أغلق على نفسه أي باب تهب منه رياح الحق ،

أو تمطر منه سحائب الرحمة ، أو تشرق منه شمس الفضيلة .

لقد أسلم نفسه للشيطان ، وتملكته الشهوة والهوى حتى صار لا يعرف معروفاً فضلاً أن ينكر

منكراً ، يرى الصديق عدواً والعدو صديقاً ، والحق باطلاً والباطل حقاً ، فأبى جهل بعد هذا ؟

وأبى فتنة بعد هذا ؟ بل أي ضلال بعد هذا ؟ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص/ ٥٠].

قال النبي ﷺ : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأبى قلب أشربها نكت فيه نكتة

سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرابداً ، كالكوز مُجَحَّياً ، لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، إلا ما أشرب من هواه « متفق عليه <sup>(١)</sup> .

هذا الصنف المريض من الناس أتراه نادراً جداً حتى لا يكاد يعرف...؟ أم هو كثير جداً تراه أمام ناظريك أينما توجهت ، وحيثما سرت ؟ ... وسواء قل أو كثر فهو موجود بيننا .

لقد اكتفى من الإسلام بشهادة أن لا إله إلا الله بلسانه ... وربما سمع القرآن يتلى ... ودخل المسجد يوماً أو جمعة أو حيناً بعد حين فهل يكفي هذا ؟ ... كلا ... إن الإسلام عقيدةٌ وشرعةٌ ، قولٌ وعملٌ ، هدي ونورٌ ، كلٌّ لا بعض ، عقيدة ومنهاج ، عبادات ومعاملات ، أخلاق وآداب ، تأمل وتفكر : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣] .

الدين ركنان : عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق ، في كل مكان وزمان وحال .  
فهل أخذناه بقوة ؟ ... لننظر ...

إن محاسبة النفس ، والتشخيص الصادق ، يلحقك بالأصحاء أو بالمرضى ، بالأولياء أو بالأشقياء ، بالمهتدين أو بالضالين ، فسل نفسك؟؟؟ .

هل تصلي وتصوم ؟ ... هل تؤدي الزكاة ؟ ... هل تعفو وتغفر ؟ ... هل أطعت الله ورسوله ؟ ... هل تحب الخير وأهله ؟ ... هل تبغض الشرّ وأهله ؟ ... هل تدعو إلى الخير ؟ ... هل تأمر بالمعروف ؟ ... هل تنهى عن المنكر ؟ ... هل يطمئن قلبك بذكر الله ؟ ... هل تخاف الله وحده ؟ ... هل ترجو الله وحده ؟ ... هل أنت من المحسنين ؟ ... هل أنت من المستغفرين ؟ ... هل أنت من الذاكرين ؟ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

ثم تسأل نفسك وتجييب ...

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢٥) ، ومسلم برقم (١٤٤) .

هل أنت من الظالمين؟ ... هل أنت من الكاذبين؟ ... هل أنت من المنافقين؟ ... هل أنت من المستهزئين؟ ... هل أنت من المتكبرين؟ ... هل أنت من المرائين؟ ... هل تأكل الربا؟ ... هل وقعت في الزنا؟ ... هل قذفت أحداً؟ ... هل تشرب المسكرات؟ ... هل تتناول المخدرات؟ ... هل ترتكب المحرمات؟ : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٥].

بمثل هذا التشخيص تدرك أنك من الذين اتبعوا الحق ... أو من الذين اتبعوا الباطل ... أو من جند الرحمن ... أو من جند الشيطان ... أو ممن تملكته الشهوة والهوى ، فخلط بين الحق والباطل ، فانظر ما قدمت ، وماذا تعمل : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨].

فإن كنت من الذين اتبعوا الحق ، وأطاعوا الله ورسوله ، فهنيئاً لك بسعادة الدارين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَكِ كَأَنَّ الْخَافُونَ وَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزُولُ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣١].

وإن كنت من الذين اتبعوا الباطل ، وعصوا الله ورسوله ، فذلك الخسار الذي لا ربح بعده ، والهلاك الذي لا نجاة بعده : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا كَالْحَلْدِاءِ فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٤].

وإن كنت ممن يخلط بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين الحسن والقيح ، فأنت من المرضى ... ألا ما أشد خطورة هذا المرض ...!

فهل تحب الشفاء؟ ... فلتقبل الدواء من كتاب ربك الذي قال عنه : ﴿ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٢].

فتدبر حالك ، وانظر في شأنك ، فلكل عمل ثواب أو عقاب ، ولكل عامل دار وقرار : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا

عَذَابِ النَّارِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكَ ﴿٢٠﴾ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَعْلَمَهُمْ  
بِرَّجُوعِكَ ﴿٢١﴾ [السجدة/ ١٨-٢١].

قال ابن القيم رحمه الله : إن جماع أمراض القلوب هي أمراض الشبهات والشهوات ، والقرآن  
شفاء للنوعين .

ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل ، فتزول به أمراض الشبه المفسدة  
للعلم والتصوير والإدراك ، فمن رزقه الله تعالى فهم القرآن ، أبصر الحق والباطل عياناً بقلبه كما  
يرى الليل والنهار .

وأما شفاؤه لمرض الشهوات ، فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة ، بالترغيب  
والترهيب ، والتزهيد في الدنيا ، والترغيب في الآخرة ، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر  
والاستبصار<sup>(١)</sup> .

إن أحكام الله التي شرعها لعباده يكمل بعضها بعضاً ، فليس في الإسلام صلاة بلا صوم ، أو  
حج بلا زكاة ، أو أخلاق بلا آداب ، فمن صلى ولم يصم ، أو حج ومنع الزكاة أو استحل الزنا  
أو الربا أو الخمر ونحوها فليس من الإسلام في شيء : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ  
وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ  
إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ [البقرة/ ٨٥] .

إن الأخلاق الإسلامية الفاضلة ليست ثوباً يلبسه الإنسان هنا وينزعه هناك ، يرتديه متى شاء  
وينزعه متى شاء ... بل إنها ثوابت راسخة متأصلة لازمة للإنسان ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً في  
البيت والمدرسة ، في المسجد والمكتب ، في الطريق والمصنع ...

وليست الأخلاق في الإسلام من الأشياء الكمالية يُنتفع بها حيناً ، وتطرح أحياناً ... فالصبر  
والصدق والحب والحياء والعفو والإحسان حُلل يرتديها المسلم في حياته متى ما نزعه  
انكشفت عورته ، وفسدت أخلاقه ، فأصبح عرياناً ، وجيفة منتنة ، بعد أن كان مسكاً تفوح

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٤٤٤-٤٥) .

رائحته ، ونوراً يشع ضوءه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

لقد حرص أعداء هذا الدين على سلخ الأخلاق ، وشعائر الدين ، من حياة المسلم ، ليكون فضلةً  
لا قيمة له ... وقشراً لا لب له ... وصورة لا معنى لها ... يعكف على الرذيلة ... وينفر من  
الفضيلة ... يقول ما لا يفعل ... ويسمع ولا يستجيب ... ويذنب ولا يستغفر : ﴿ وَكَثِيرٌ  
مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ  
لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ءِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة/ ١٠٩].

إن الله سبحانه يبين لنا الصراط المستقيم ، وأمرنا باتباعه والسير على هديه ، في جميع أحوالنا ...  
وحذرنا من اتباع السبل التي تصد عن ذكره وهديه فقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا  
تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

فهنا سلكتنا الصراط المستقيم الذي يهدي إلى الجنة ، وابتعدنا عن كل ما سواه من السبل العوجاء  
التي لا تهدي ضالاً ، ولا تشفي عليلاً ، ولا تقيم معوجاً : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ  
وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من  
الراشدين : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [١٤٧].



## القرآن شفاء

إن العقل نعمة، والسمع نعمة، والبصر نعمة، والقلب نعمة، وهذه وسائل المعرفة، فهل أحسن المسلم الاستفادة من هذه النعم، وأدى شكرها للمنع؟ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل/ ٧٨].

إن كل واحد منّا مسئول عن هذه النعم، فعليه أن يستعملها في طاعة الله لا في معصيته... فيما يحلّ لا فيما يحرم... في الحق لا في الباطل... في الخير لا في الشر: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء/ ٣٦].

فهل نعقل؟... فإن الله يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف/ ٢].

هل نتفكر؟... فإن الله يقول: ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ﴾ [يونس/ ٢٤].

هل نسمع؟... فإن الله يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة/ ٢٦].

هل نبصر؟... فإن الله يقول: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات/ ٢١].

هل ننظر؟... فإن الله يقول: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/ ١٠١].

ألا ما أعظم الخالق، وما أعظم ما خلق.

من خلق السموات والأرض، والشمس والقمر، والأفلاك والنجوم، والماء والتراب، والجماد والنبات، والملائكة والجن، والإنسان والحيوان، والليل والنهار، والرياح والزلازل، والنار والذرات: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/ ٦٢].

أعلمت أحداً غير الله خلق هذه المخلوقات...؟

هيئات.. بل لله الخلق والأمر وحده: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

أعلمت أحداً يقلب الليل والنهار غير الله؟

هيئات بل ذلك لله وحده: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور/ ٤٤].

أعلمت أحداً سخر الشمس والقمر غير الله؟

هيئات بل ذلك لله وحده: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم/ ٣٣].

أعلمت أحداً غير الله خلق الإنسان وصوره؟

هيئات ذلك لله وحده: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين/ ٤].

أعلمت أحداً غير الله يرسل الرياح؟

هيئات .. ذلك لله وحده : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فتنُفِثُ سَحَابًا ﴾ [ الروم / ٤٨ ] .

أعلمت أحداً غير الله يرسل الصواعق ؟

هيئات ذلك لله وحده : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴾ [ الرعد / ١٣ ] .

أعلمت أحداً غير الله خلق السموات والأرض ؟

هيئات .. ذلك لله وحده : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [ يونس / ٣ ] .

من الذي جعل الأرض مهاداً ... ؟

من الذي جعل الليل لباساً ... ؟

من الذي جعل النهار معاشاً ... ؟

من الذي خلق الأنعام كلها ... ؟

من الذي رفع السماء بلا عمد ... ؟

من الذي يسوق السحاب ... ؟

من الذي يرزق العباد ... ؟

من الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً ... ؟

الله وحده لا إله غيره ولا رب سواه : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

[ الأنعام / ١٠٢-١٠٣ ] .

تلك آيات عظيمة محكمة ، خلقها الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ...

إن وجودها يدل على موجدتها ... وعظمتها تدل على عظمة خالقها ... وقوتها تدل على

قدرة خالقها ... وبقائها وحركتها تدل على حياة خالقها ومدبرها .

فسبحان مالك الملك : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ

مُبينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [ لقمان / ١١ ] .

ألا ما أعظم الملك والمالك والمماليك ، وما أعظم الخلق والتدبير في ملكه العظيم : ﴿ قُلِ

اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ

إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ

الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ آل عمران / ٢٦-٢٧ ] .

## رؤية الخالق

سألني سائل فقال : إن نعمة البصر من النعم التي أكرمنا الله بها ، إنني أرى السماء وعظمتها ، والشمس وضيائها ، والنجوم وجمالها ، وأرى الأرض سهولها وجبالها ، نباتاتها وحيواناتها ، برها وبحرها ، إن خالقها لعظيم ، وقد أيقنت بوجوده ، فهل يمكن أن أراه كما رأيته ؟ قلت : إن الله جعل هذا الكون بما فيه من المخلوقات العظيمة كالسما والأرض ، والشمس والقمر ، والإنسان والحيوان ، والجماد والنبات وغيرها ، جعل كل هذه المخلوقات آيات بينات تشهد بوجوده وعظمته ووحدانيته لمن سلمت بصيرته .

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

قال : هذا لا ريب فيه ، فهل للحديث من بقية ؟ قلت : نعم .

إن هذه العين الضيقة الصغيرة المحدودة لها حد تقف عنده ، فليس كل موجود يُرى ، فالرؤية التي نستطيعها محدودة ، وكذلك المرئي محدود .

الهواء موجود ... فهل تراه العين ... ؟ كلا .

العقل موجود ... فهل تراه العين ... ؟ كلا .

الروح موجودة في بدن الإنسان فهل تراها العين ... ؟ كلا .

فهذه موجودة ولكنها لا تُرى وإنما تُرى آثارها فقط .

هل تستطيع أن ترى من بالمكان المجاور ... ؟ كلا .

هل تستطيع أن ترى الأرض بأكملها أو النجوم جميعها ... ؟ إنك لا تستطيع إلا رؤية القليل .

هل تستطيع أن ترى الشيء البعيد ، أو الشيء اللطيف القريب ... ؟ هيهات .

هل تتحمل رؤية الشمس وجهاً لوجه في رابعة النهار ... ؟ كلا .

هل تتمكن من رفع جبل بيدك ، أو إدخال طن من الطعام في بطنك ، أو رؤية الهواء ببصرك ؟

لن تستطيع ، لأنك ضعيف ، وقدراتك ضعيفة ، فأني تتحمل ذلك : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ

وَخُلُقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء/ ٢٨] .

إن صفات الكمال كلها لله وحده ... وصفات الجلال كلها لله وحده ... وصفات الجمال كلها

لله وحده : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ [طه/ ٨] .

إن الله وسع كرسيه السموات والأرض ، قد استوى ربك على العرش الذي لا يساوي الكرسي والسموات السبع بالنسبة له إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، فكيف تستطيع العين المحدودة الضعيفة أن تراه أو تحيط بها سبحانه .

إن الله نور السموات والأرض : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور/ ٣٥] .  
وسئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال : « نورٌ أنى أراه » أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> ، وفي الحديث الآخر : « حجابُه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره » أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup> .  
فهيئات أن تستطيع العين الضعيفة التي لا تصمد لرؤية قرص الشمس أن ترى الله جهرة ...  
ألا ما أعجب حال الإنسان ... إنه كان ظلوماً جهولاً ...

وحين سأل موسى ﷺ ربه أن يمكنه من رؤيته ، أخبره الله ﷻ أنه لا يستطيع أن يراه ، وأمر الله موسى ﷺ أن ينظر إلى الجبل حين يتجلى الله له في تجربة عملية تؤكد ذلك فقال : ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَنِي وَلَكِن نُنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرُنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف/ ١٤٣] .

فهذا الجبل بصلابته وعظمته لا يحتمل تجلي الله عليه ، فكيف يمكن للإنسان أن يرى الله جهرة ببصر ضعيف لا يحتمل رؤية الشمس ! أو يتمكن من رؤية الهواء والعقل والروح ... أنى له ذلك ، فسبحان من : ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٠٣] .  
والله محيط بكل محيط ، ولا يحيط به محيط ، والله قادر على كل قادر ، فهو القادر على كل أحد ، ولا يقدر عليه أحد ، المحيط بكل أحد ، ولا يحيط به أحد : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

ومن حكمة ورحمة الله بعباده أن جعل الخلق لا يرونه في الدنيا ، لأنهم لو رأوه بجلاله وعظمته لأطاعوه ولم يعصوه أبداً ، ففاتت الحكمة من التكليف بالأمر والنهي ، ولبطل أمر الثواب

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٩) .

والعقاب ، فمنعنا من رؤيته في الدنيا ، لأنه يريد أن تأتي إليه ونؤمن به ونطيعه اختياراً لا إجباراً: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف/ ٢٩].

والملوك لا تعصى بحضرتها وفي سلطانتها هيبه لها ، فكيف لو رأينا ملك الملوك !  
ولكننا نراه في الدنيا بقلوبنا لا بأبصارنا ، ونرى أفعاله في مخلوقاته وملكه العظيم : ﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٠﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وإنما يراه المؤمنون عياناً في الآخرة إكراماً لهم : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فعلينا أن نتعرف على صفات خالقنا من خلال آياته ومخلوقاته التي تملأ الأرض والسماء ، فالإحكام في الخلق يدل على الحكيم ، والعلم يدل على العليم ، والقدرة تدل على القدير ، والنعم تدل على المنعم ، واللطف يدل على اللطيف ... وهكذا : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].  
فأعظم العلوم ، وأصل العلوم كلها هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وخزائنه وملكه ، ودينه ووعدته ووعدته : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

قال : وفقك الله لقد نورت بصيرتي بهذا الحديث المختصر المفيد .  
يا حسرة على العباد ، وا أسفاه على الجهل ، وا له عدم التفكير والتدبر ، إن كتاب ربنا فيه تفصيل كل شيء .

فهل نقرأ كتاب ربنا ؟ إنك لا تجد الحق جلياً إلا في آياته ومعجزاته : ﴿ فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الجاثية/ ٦].

اللهم وفقنا للعمل بكتابك واتباع سنة نبيك ﷺ ، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

## الفوز والفلاح

إن من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَا لَهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٥٧] .

واصطفى الله رسله من البشر شرفهم بالرسالة ، واختصهم بالكرامة من بين سائر البشر : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج/ ٧٥] .

وأرسل الله إلى كل أمة رسول يدعوهم إلى عبادة الله وحده : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ [النحل/ ٣٦] .

واختار الله الأنبياء والرسل من بني جنسهم ، ليكونوا قدوة حسنة لأممهم في سائر الأحوال والأحكام والأخلاق والآداب .

في العبادات والمعاملات ، في الأقوال والأعمال ، في الأكل والشرب ، في الصلاة والصيام ، في النوم والقيام ، في الزواج والجهاد وسائر الآداب : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

والرسل والأنبياء أكمل الناس خلقاً وخلقاً ، وأصحهم مزاجاً ، وأبرهم قلوباً ، وأصدقهم حديثاً : قال أهل الطب : أعدل أمزجة الحيوان مزاجاً الإنسان ، وأعدل مزاج الإنسان مزاج المؤمنين ، وأعدل المؤمنين مزاجاً الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وأعدل الرسل والأنبياء مزاجاً أولي العزم ، وأعدل أولي العزم مزاجاً ... مزاج محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خلقاً وخلقاً كما قال عنه ربه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤] .

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت : إن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن . أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> .

أرسله الله رحمة للعالمين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٤٦) .

وزكى الله عقله وقلبه ، ولسانه وكلامه فقال : ﴿ وَالنَّجْوَى إِذَا هُوَ ۝۱ مَاضٍ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۝۲ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝۳ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝۴ ﴾ [النجم / ٤-١] .

وأنزل عليه كتاباً فيه البيان والهدى ، والرحمة والبشرى : ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ۝۸۹ ﴾ [النحل / ٨٩] .

فالرسول ﷺ أفضل الأنبياء والرسل وخاتمهم ، والقرآن العظيم أعظم الكتب وآخرها ، وأمة محمد ﷺ أفضل الأمم وآخرها : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ۝۱۱۰ ﴾ [آل عمران / ١١٠] .

وقد تحدى الله بالقرآن العظيم أهل الفصاحة والبلاغة ، بل تحدى الثقيلين الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، فما استطاعوا ولن يستطيعوا إلى أن تقوم الساعة : ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝۸۸ ﴾ [الإسراء / ٨٨] .

لماذا...؟ لأنه كلام رب العالمين ، كلام من أحاط بكل شيء علماً ... لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۝۲۳ ﴾ [الزمر / ٢٣] .

نزل على الرسول ﷺ مفرداً في ثلاث وعشرين سنة ، لأنه يعالج أمور الحياة كلها بلا استثناء ، فاحتاج إلى وقت ، ليسهل حفظه وتطبيقه في مجالات الحياة كلها عقيدة وشرعية ، عبادات ومعاملات ، أحكام وآداب ، قصص وأخبار ، سلماً وحرماً ، حضراً وسفراً .

فعمل به الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ، فتحولت حالتهم وحياتهم من ذلة إلى عزة ... ومن قلة إلى كثرة ... ومن فرقة إلى وحدة ... ومن عداوة إلى محبة ... بل من الشرك إلى الإيمان ... ومن الضلال إلى الهدى ... ومن الظلمات إلى النور : ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝۱۰۳ ﴾ [آل عمران / ١٠٣] .

وتحولت حياتهم من شر القرون إلى خير القرون ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿وَالسَّيْفُونَ  
الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ  
تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

وُتُوفِيَ ﷺ وقد ترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .  
فأكمل الله الدين ، وأتم النعمة على الأمة ، ورضي لهم الإسلام ديناً : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ  
وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣] .

وبقي كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ للأمة يعملون بهما ، ويتمسكون بهديهما ، حتى لا  
يضلوا : ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف/ ١٧٠] .  
وقال النبي ﷺ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ؛ كِتَابُ اللَّهِ » . أخرجه مسلم (١) .

فإن تمسكت بهما الأمة وإلا رجعوا إلى حال أسلافهم من أهل الجاهلية ، وتحولت حياتهم  
وحالتهم من عزّة إلى ذلّة ... ومن كثرة إلى قلّة ... ومن وحدة إلى فرقة ... ومن محبة إلى  
عداوة ... ومن الإيمان إلى الكفر ... ومن الهدى إلى الضلال ... ومن النور إلى الظلمات :  
﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [١٢٣] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ  
مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ  
أَنْتَكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ [١٢٦] [طه/ ١٢٣-١٢٦] .

وتلك سنة الله : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَنْ يَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب/ ٦٢] .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨) .



## لله الخلق والأمر

إن الله رضي لنا هذا الدين ، ولن يقبل منا إلا ما رضيه لنا ، وأكمله لنا : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [آل عمران / ٨٥] .

ألا إن السعادة حقاً في الدنيا والآخرة هي في الإيمان بالله ، وتدبر كتابه ، واتباع هدي رسوله ﷺ . لقد كثرت العلوم والمعارف في هذه الأيام ، وتوسعت الأمة الإسلامية في دراسة ثقافات الغرب والشرق وفلسفاتهم ونظرياتهم ، حتى نشأ جيل من الشباب أحاط بقسط وافر من فلسفات ونظريات وآداب الشرق والغرب ، ولا يعرف من دينه إلا ما يُبقي له اسم الإسلام فقط .

وتبعاً لذلك ظهر جيلٌ قطع صلته بربه ، وبدأ يشك ويشكك في الدين ، والرسول والقرآن ، ونتيجة لذلك عطل بعضهم شعائر الإسلام ، بل وصل الأمر أن بعضهم يأنف ويشمئز من ذكر الله ، ولا يجد لذة وأنساً إلا بالعكوف على ما جلبه إلينا شياطين الإنس والجن من فساد وتحلل ، وشك وإلحاد ، قد دُس في المسرحيات والروايات القدرية ، والصحف الوقحة ، والأفلام العفنة ، والأغاني الماجنة ، بل في المصنوعات والأجهزة التي تدخل كل منزل ، وتواجهك في كل متجر . فله كم ضلَّ بهذه الوسائل ...؟ وكم أفسدت من شباب الأمة ...؟ وكم صدت عن ذكر الله ...؟

﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة / ٤٩] .

سألني أحدهم بين مجموعة من زملائه فقال : لقد قرأنا القرآن ، وعرفنا سيرة الرسول ﷺ ، ونحن الآن في عصر العلم والمدنية ، والعقل والتجربة ، ألا ترى كيف تقدم الغرب في مجالات الحياة صناعة وتطوراً ، حضارة ومدنية ...؟ في حديث لا ينقضي ...؟

فقلت : لقد روعتنا بعبارتك ، وكشفت عما في باطنك ، وإنما تدرك الحوائج بالتأني ، ويحصل الخلاص بالتأمل ، فماذا يجول في خاطرك ؟ فإن الله يقول : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل / ٨٩] .

قال : قد علمت أننا في عصر العلم والمدنية ، والإبداع والتجربة ، فهل نستغني بذلك عن القرآن والسنة ، وننهل من حضارة الغرب لنلحق بركبهم ؟

فإن لم يمكن ذلك فكيف نعرف بعقولنا أن الله أرسل رسولاً ، وأنزل كتاباً ...؟ فإذا تيقنا ذلك فهل لذلك من ضرورة...؟

أَسئَلُهُ تَفْوَحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْكُفْرِ ... وَتَتَفَجَّرُ مِنْهَا بَرَائِكُنِ الْإِلْحَادِ : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور/ ٥٠] .

فلا تهولنك هذه العاصفة من الأفكار ، فإن الإسلام ينسفها نسفاً ... فصوله الحق في ساعات تقضي على انتصار الباطل في سنوات : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة/ ٢١] .

وقال سبحانه : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء/ ١٨] .

قلت : هداك الله ...

إنك بالعقل تتحدث ، وبالعقل شرف الإنسان ، وبالعقل أمرنا أن نتفكر في آيات الله ... وبالعقل سوف يأتيك البيان إن شاء الله ... أسمع...؟ قال : نعم .

قلت : هذه السيارة التي أمامك ذات لون جميل ، ومركب مريح ... لها إطارات وإشارات ... وبها ماكينة ومحركات ... تنقلك من مكان لآخر بكل طمأنينة وراحة ... قال : نعم .

قلت : أرأيته بجوار بيتك جاءت بالصدفة هكذا؟ قال : لا .

قلت : فمن جاء بها ...؟ قال : التجار .

قلت : ومن أين جاء بها التجار إلى هنا؟ قال : من البلد الذي صنعت فيه ...

قلت : إذا هي صناعة بشر ...؟ قال : نعم .

قلت : من صنعها؟ قال : المفكرون والعباقرة .

قلت : من صنعها أحكم صنعها ، وأتقن شكلها ، وربط أجزائها ...؟

قال : نعم .

قلت : ولماذا؟

قال : حتى يستفاد منها على أتم وجه ، وتدل على عظمة صانعها وعبقرية .

قلت : وتسير هكذا بلا أصول وقواعد للسير ...؟

قال : لا ، بل تسير وفق ضوابط وتعليمات ، لتبقى نافعة سليمة ولا تضر أحدا .

قلت : وتسير كل يوم بلا وقود ...؟

قال : لا ، بل إنها لا تسير خطوة إلا بوقود .

قلت : صوّب إليّ عقلك جيداً ، ولا أريد منك جواباً إلا من عقلك ...

قال : سلّ ... فقد بدأت حديثاً يُسمع العقل ويملأ الصدر ...

قلت : صنّعت هذه السيارة ، ووصلت إلى هنا ، وأدرك أول إنسان هنا قيادتها بنفسه من غير

مهندس يبين له طريقة القيادة ... وأصول السير ... وقواعد الصيانة ...

قال : لا ... قلت : كيف ...؟

قال : إن السيارة أول ما وصلت إلينا بعث معها صانعها كتاباً بداخلها ، فيه طريقة صناعتها

وتركيبها ، وطرق صيانتها ، وكيفية استعمالها ... في كتاب مفصل من عند صانعها نفسه .

وأرسل معها مهندساً خبيراً علّمه جميع ما يلزم لها ، ليبين للناس ويفصل لهم ما في هذا

الكتاب ويجيب على أسئلتهم إن أشكل عليهم شيء .

قلت : فاسمع وفقك الله وهداك ، وأنار عقلك وبصيرتك .

إن الله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأهبطه إلى الأرض ، ولم يتركه هملاً بلا منهج ،

بل توالى إنزال الكتب ، وإرسال الرسل على البشر من عهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بعثة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أنزل الله القرآن وبيّن فيه خلق الإنسان والمخلوقات كافة ، وبيّن فيه ما ينفع الإنسان وما يضره ،

وكيف يعمل ؟ وماذا يعمل ؟ وكيف يتصل بخالقه فيدعوه ويسأله ، واختار الله رسوله محمداً

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعلّمه مما يشاء ، وأرسله إلى الناس كافة ، وأنزل عليه كتاباً فيه تبيان كل شيء ، فبلغ

الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وبيّن لها كل خير ، وحذرها من كل شر ، لتسعد في الدنيا

والآخرة : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَلَنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [ الجمعة / ٢ ] .

قال : ولكن القرآن فيه تبيان كل شيء فيغني عن غيره .

قلت : وهل يغني الكتاب الذي في السيارة عن المهندس الذي بيّن كيفية قيادة السيارة لأول مرة

وما يلزم لها ... قال : لا .

قلت : كيف ... ؟

قال : قد يكون في السيارة شيء لم يفهم من الكتاب الموضح لها ، فيوضحه المهندس الخبير ، وقد يخطئ المهندس أو ينسى فيجد بغيته في الكتاب...  
فكان كتاب السيارة والمهندس الخبير كلاً منهما مكملًا للآخر .

قلت : فهكذا ، والله المثل الأعلى ، الإنسان جاهل وضعيف لا يفهم من القرآن كل شيء ، وقد يفهم البعض دون البعض الآخر ، وقد يفهم غير المراد فيخطئ ثم يهلك ، فالرسول ﷺ بشر كالناس ، كان خلقه القرآن ، طبَّقه على نفسه بين الأمة ، ليقنطوا به ، لئلا يستثقلوه ، ويقولوا لا نطقه ، وسألوا وأجابهم فصلى وصلوا... وصام وصاموا... وجاهد وجاهدوا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

فالرسول ﷺ يؤكد ما في القرآن ، ويفصّل مجمل القرآن كمعرفة أوقات الصلاة وركعاتها وكيفيةها ، وأنصبة الزكاة ونحوها ، ويزيد أحياناً على ما في القرآن كتحريم الجميع بين المرأة وعمتها وخالتها ، وكل ذلك علمه محمد ﷺ من ربه : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٤﴾ [النجم/ ٣-٤] .  
فكان إرسال الرسول ، وإنزال الكتب أمراً لا زمًا ، وذلك لضعف البشر واختلاف مداركهم ... فالله خلق البشر وهو الذي ينظم حياتهم : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤] .  
قال : هذا صحيح .

قلت : ولما تعلّم الصحابة رضي الله عنهم من الرسول ﷺ رسالة ربّه ، وفقهوا في دينهم ، وعرفوا ربّهم ومعبودهم وما يجب له ، انتقل الرسول ﷺ إلى رحمة ربّه ، حيث كَمُلَ الدين ، وظهر في الأمة علماء ورثوا علم الأنبياء

يهدون الأمة إلى دين الله إلى أن تقوم الساعة ، كما أن المهندس الخبير يرحل بعد أن يؤدي وبيّن للناس ما أمر به ، فيرحل بشخصه ، ويبقى علمه تستفيد منه الأمة .

ثم قلت : أيهما أعظم صناعة السيارة ، أم خلق الإنسان ؟

قال : لا يستويان ، فالإنسان في خلقه آيات وعجائب : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الذاريات/ ٢١] .

قلت : فاعلم أن عظمة المصنوع تدل على عظمة الصانع .

قال : فما بال الإنسان الذي خلقه الله قد ساءت حاله وتردت ؟ فتارة يقتل ، وتارة يظلم ، وتارة يسرق ، وتارة يزني ، وتارة يكذب ، وتارة يفسد .

قلت : هذا عين الحكمة ...

قال : كيف ...؟

قلت : حينما تعطب سيارتك ألا تتصل بالمصنع الذي صنعها ، والكتاب الذي يشرح تركيبها وكيفية سيرها ، لتعود إليك من المصنع نافعة سليمة من كل عيب .

قال : بلى .

قلت : إن سبب ذلك الغفلة عن الله ودينه واليوم الآخر ، فالغافل ضعف إيمانه بربه ، فثقلت عليه الطاعات ، وخفت عليه المعاصي ، فانتقل من جند الرحمن إلى جند الشيطان ، ومن الصلاح إلى الفساد ، ولو عاش في الجو الإيماني ، لخفَّت عليه الطاعات ، وثقلت عليه المعاصي .

والشيطان في الجو الغافل أقوى من الأسد ، والشيطان في الجو الإيماني أضعف من البعوضة ، فكن مع الذاكرين لا مع الغافلين ، لتطيع ربك ، وتعصي عدوك : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرَهُ فُرطًا ﴾ [الكهف/ ٢٨] .

فعلى الإنسان الذي ساءت حاله وتردت أن يتصل بخالقه الذي بيده كل شيء ، ويعرض نفسه وسلوكه على كتاب ربه ، وسنة نبيه ﷺ ، وسيجد فيهما الهدى والشفاء ، وسيرى فيهما أن القتل بغير حق حرام ، وأن الظلم حرام ، والسرقه حرام ، والزنا حرام ، والكذب حرام ، فليعتزل هذه الصفات وأمثالها من مساويء الأخلاق ، ويطيع الله ورسوله ليعيش عيشة كريمة سعيدة في الدنيا ، ويفوز بالجنة في الآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

قال : نور الله قلبك ، لقد نورت قلبي وعقلي ، وماذا بعد وفقك الله ...؟

قلت : خلوة ساعة فيما بينك وبين الله ، وتفكيرك في مخلوقاته ، تتملك طائعا راعبا من الشك إلى اليقين ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن المعاصي إلى الطاعات .

ثم قلت : لما أسكنك الله في أرضه ، أيسرُك أن يتركك بلا أصول وقواعد وأحكام تسير عليها في هذه الحياة ، فتكون كالبهائم والسباع ، جهل وشهوة ، وظلم وقسوة : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

قال : سبحان ربي ، قد أحاط بكل شيء علماً إن ربي لرؤوف رحيم .  
قلت : وهذه السيارة ، من خلق الإنسان الذي صنعها ؟ ومن خلق الفكر الذي اخترعها ؟ ومن  
خلق القدرة التي شكلتها ؟ ، ومن خلق المادة التي صنعت منها ؟  
قال : لا شك أنه الله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصفات/ ٩٦].  
قلت : وهل تسير سيارة بلا وقود ؟ قال : لا ...

قلت : فإن الله خلقك ، ووهبك من رزقه ، فأنت لا تأكل إلا من رزقه بلا ثمن ، ومن أكرمك  
وجبت طاعته ، فأطعه واعبده : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ  
وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه/ ١٣٢].

وصانع السيارة يطلب ثمناً لها ... ولا تمشي إلا بوقود يُشترى لها ...  
لقد أكرمك الله في الدنيا برزق تأكل منه ، وأكرمك بمنهج تهتدي به ، ورسول تقتدي به ،  
وسيكركم في الآخرة إن أطعته بجنة عرضها السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ، ولا  
أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢].

فأيُّ إكرام لك فوق هذا ...؟ وأيُّ خير بعد هذا ...؟ وأيُّ نعيم بعد جنة عرضها السموات  
والأرض أعدت للمتقين نزلاً في الآخرة ...؟  
فإن أطعت ربك فإنما تنفع نفسك ... وإن عصيت ربك فإنما تضر نفسك ، فإن الله لا تنفعه  
الطاعة ولا تضره المعصية ، لأنه هو الغني الحميد : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ  
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥].

ولكن الله يحب من عبده الطاعة ليشبه عليها الجنة ... ويحب من عبده الشكر على النعمة ، ليزيده منها ...  
ويحب منه الاستغفار من الذنب ، ليغفر له : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَبِيٍّ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ تَبْتَغِي ، إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « أَتُرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلِدهَا فِي النَّارِ؟ » قُلْنَا : لَا وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُ أَرْحَمُ بَعْبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدهَا » متفق عليه <sup>(١)</sup> .

إِنْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِنَا أَنْ أَكْرَمْنَا بِرِزْقٍ طَيِّبٍ نَأْكُلُ مِنْهُ ، وَقُرْآنٍ عَظِيمٍ نَهْتَدِي بِهِ ... وَرَسُولٍ كَرِيمٍ نَقْتَدِي بِهِ ... وَعَقْلٍ نَعْقِلُ بِهِ مَا يَنْفَعُنَا وَمَا يَضُرُّنَا : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

أَرَأَيْتَ لَوْ تَرَكْنَا اللَّهَ هَمَلًا وَسَدَى ... لَا أَخْلَاقَ وَلَا آدَابَ ... وَلَا أَحْكَامَ تَنْظِمُ شُؤْنَ حَيَاتِنَا ... وَلَا عِبَادَاتٍ تَصِلُنَا بِخَالِقِنَا وَرَازِقِنَا ... كَيْفَ تَكُونُ حَالُنَا حِينَئِذٍ ...؟ سَتَدْخُلُ الْأَهْوَاءُ ، وَالشَّهَوَاتُ ، وَالْأَطْمَاعُ ، وَالْقَوَى ، وَتَقْلِبُ الْحَيَاةَ ظِلْمًا وَفَسَادًا ، فَرَقَّةً وَأَحْقَادًا ، فَيَعْمُ الْفَسَادُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِنْ فِيهِنَّ : ﴿ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٧١] .

فَأَيُّ مَصِيبَةٍ تَحُلُّ بِالْأُمَّةِ حِينَئِذٍ ...؟ وَأَيُّ خَسَارَةٍ تَلْحَقُهَا فِي الْآخِرَةِ ...؟ ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٢] .

قال : أكرمك الله بطاعته ، إن في حديثك حياة لقلبي ، وسروراً لفؤادي ، والمرء قليل بنفسه ، كثير باخوانه ...

واعجباً لغفلتنا ... ألا ما أعظم لطف الله بعباده ... وما أجهلنا بحقه ... خلقنا ، ورزقنا ، وهدانا ، ليكرمنا بجنته عرضها السموات والأرض ... ما أظلم العبد لنفسه ... يتحجب إليه ربه وهو عنه غني ، ويعتب عليه إن لم يستله ، ما أثر عليه من المخلوقات شيئاً وهو ، يؤثر عليه كل شيء : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤] .

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٩) ، ومسلم برقم (٢٧٥٤) .

## أفضل المخلوقات

إِنَّ آيَاتِ اللَّهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ تَمَلَأُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ، أَمَرْنَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِالنَّظَرِ فِيهَا ،  
والتفكير في خلقها بما وهبنا من عقل فقال : ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ  
اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٥] .

السموات والأرض ... الشمس والقمر ... الأفلاك والنجوم ... التراب والماء ... الجبال  
والمعادن ... النبات والحيوان والإنسان ... الليل والنهار ... الزلازل والرياح ... الأحياء  
والأموات ... المتحرك والساكن ... السائل والجامد .

هذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي والسفلي ، خلقها الله شاهدة بوحدانيته ، تسبح  
بحمده ، وتخضع لأمره ، فهي مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ  
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ  
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج/ ١٨] .

هذه بعض آيات الله ومخلوقاته في هذا الكون الفسيح تشهد بوجودها على وجود خالقها ...  
وتدل بعظمتها على عظمة خالقها وفاطرها ، كما تشهد بقوتها وجريانها وسكونها على قوة  
خالقها ومدبرها ... وبتنوعها على حكمة خالقها ... وبقائها وإحكامها وتسخيرها على حياة  
خالقها وكمال قدرته :

إن النظر والتفكير في الآيات الكونية والآيات القرآنية هو الطريق إلى معرفة الحق :  
﴿ سَتْرِيهِمْ أَيَّاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
شَهِيدٌ ﴾ [فصلت/ ٥٣] .

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد/ ٢٤] .

لقد أكرم الله الإنسان من بين سائر المخلوقات ... خلقه الله بيده ... ونفخ فيه من روحه ...  
وعلمه أسماء كل شيء ... وأسجد له ملائكته ... وشرفه بالعقل ... واستخلفه في الأرض ...  
وسخر له ما في السموات وما في الأرض ، ليقوم بعبادة ربه الذي خلقه ورزقه وأكرمه فيفوز  
بالسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .



﴿الْمُرْتَوُونَ أَنْ اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبِاطِنَهُ﴾ [لقمان/ ٢٠].  
 فأني شكر قدمه الإنسان لربه مقابل هذا التكريم ...؟ وأي شيء قدمه لنفسه ...؟ إلا ما أحلم  
 الله على عباده ... يخلق ويُعبد غيره ... ويرزق ويُشكر غيره ... ألا ما أعظم حلم الله على  
 عباده: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ  
 لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل/ ٦١].

فمتى يفطن الإنسان لنفسه ، ويعرف حق ربه الذي خلقه ورزقه ، وأخرجه وآواه ...؟  
 ألا ما أجهل الإنسان ... وما أعظم غروره: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الذي خلقك  
 فسوّك فعدلك] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

ولا تعجب حينما تُسأل أحياناً ... وأي قيمة للحياة إلا الأكل والشرب ، واللهو واللعب ،  
 والتمتع والطرب ولا معنى للعبادة ؟ فإن ذلك من إفرازات الجاهلية الأولى التي روج لها  
 شياطين الإنس والجن بين أفراد الأمة للصد عن سبيل الله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ  
 بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَهُ الْآنَ يُتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة/ ٣٢].

إن هؤلاء من أجهل الناس ... وأضل الناس ... وأخسر الناس ومصيرهم إلى جهنم: ﴿وَالَّذِينَ  
 كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد/ ١٢].

رأيت شاباً يتماوت عند أداء الصلاة ، ويسرح عند ذكر الله ...  
 فقلت : وفقك الله ألا جلست لتذاكر ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، وقد أدينا الصلاة ، ألا  
 ترى أن نتبعها بالذكر والتفكير في آيات الله ...؟ قال : بلى .

قلت : إن الله سخر لنا ما في السموات وما في الأرض ، وأمرنا بالتفكير في ذلك فقال: ﴿وَسَخَّرَ  
 لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية/ ١٣].  
 فهل أحضرت عقلك لتفكر ...؟ قال : نعم ...

قلت : فاسمع وفقك الله ...  
 إن الله سبحانه خلق الجماد ، وخلق ما هو أرقى منه رتبة ، وأقل منه مساحة ، وهو النبات ، وميزه  
 عن الجماد بالنمو والتكاثر ...

وخلق ما هو أرقى من النبات رتبة ، وأقل منه كمية ، وهو الحيوان ... وميَّزه عن النبات بالحسّ والحركة ... وخلق ما هو أعظم من الحيوان منزلة ، وأقل منه عدداً ، وهو الإنسان ، وميَّزه عن الحيوان بالعقل ...

فالإنسان أشرف من الحيوان ... والحيوان أشرف من النبات ... والنبات أشرف من الجماد ... وبهذا يُعلم أن الإنسان أكرم المخلوقات ، بما وهبه الله من عقل يعرف به خالقه ومعبوده ، ويميز به بين ما ينفعه وبين ما يضره : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل/ ٧٨] .

وسخر الله هذه المخلوقات بحيث يخدم بعضها بعضاً حسب شرف كل منها . فالجماد كالشمس والأرض والماء ونحوها مسخرة تخدم من هو أرقى منها وهو النبات والحيوان والإنسان ...

فالشمس تخدم الجميع بضوئها ... والأرض تحمل الجميع على ظهرها ... والماء يسقي الجميع ... والنبات مسخر يخدم من فوقه وهو الحيوان والإنسان ... يرعاه الحيوان ، ويأكل منه الإنسان ... متى شاء وبأي قدر شاء ... ومن أي نوع شاء ...

والحيوان مسخر يخدم من فوقه وهو الإنسان يركبه ، ويأكل لحمه ، ويشرب لبنه . وبهذا اكتملت للإنسان جميع صفات المخلوقات كالوجود ، والنمو ، والتكاثر والحس والحركة ونحوها ...

واجتمع له مع هذه الصفات العقل الذي به شرف على غيره ، وامتاز به على سائر المخلوقات ... فهذا شرف في التكوين ... يناسبه شرف في الوظيفة : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين/ ٤-٦] .

إن الله خلق الجماد ، وجعله خادماً ومسخرأ لمن فوقه من نبات وحيوان وإنسان ... وخلق النبات وجعله خادماً وخاضعاً لمن فوقه من حيوان وإنسان ... وخلق الحيوان وجعله خادماً وخاضعاً ومذلاً للإنسان ...

وهذا الإنسان الذي سخر الله له ما في السموات وما في الأرض من يخدم ...؟ من يعبد ...؟ من يرجو ...؟ من يخاف ...؟ من يدعو ...؟

أيعبد ما هو أقل منه رتبة من جماد أو نبات أو حيوان ، أيخضع العالي للسافل ، والسيد للعبد؟ ﴿ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة/ ٧٦] .

إذا لا بد للإنسان أن يعبد ويخدم من هو أعلى منها ومنه ، وهو الرب العلي الأعلى الذي خلقه ورزقه وكرمه وشرفه بالعقل ، ليسعد في الدنيا ، ويفوز بالجنة في الآخرة : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] . وكيف يعبد ربه ...؟ ومتى يعبد ربه ...؟ إن العقل قاصر لا يستقل بمعرفة كيفية العبادة منفرداً ، ولا يعرف أنواع العبادة من صلاة ، وصوم ، ودعاء وذكر ، ولا يعلم ما في الآخرة من الجنة والنار ، والصراط والميزان : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [البقرة/ ١٧٧] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة/ ١٧٧-١٧٦] .

فكان لابد له من منهج يُفصّل كيف يعبد الإنسان ربه ...؟ وكيف يدعوه ...؟ وكيف يتقرب إليه ...؟ وكيف يعرف ما يحب ربه وما يكره ...؟ وماذا أعد الله له في الآخرة ...؟ ولا بد أيضاً من مُبلِّغ لهذا المنهج إلى الناس يُفصّل مجمله ، ويوضح أحكامه ، فكان أن أنزل الله إلى العباد الكتب السماوية ، وأرسل الرسل رحمة بالأمة ، وإقامة للحجة ، وبياناً للحق ، وإظهاراً للعدل : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤] .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكُتُبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد/ ٢٥] .  
ألا ما أظلم الله بعباده ، وما أجهل الإنسان ، وما أظلمه لنفسه .

قال : حقاً إن مصيبتنا في التفريط واحدة ، فمقل ومستكثر ... ألا ما أظلم هذا الحديث لقد نُورت قلبي وعقلي بما قلت ، ودللتنى على ما يَنفَعُنِي ، وخير الماء ما وافق الظمأ : ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة/ ٤] .

إن حضور مجالس الذكر فيه حياة للقلوب ، وتنبهها للعقول ، زدنا زادك الله فضلاً وعلماً ... فكم كنت عن الموعظة غافل ، وعند تنن الدنيا حاضر : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤] .

قلت : صدق الله العظيم : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/ ٢٨] .

وفقك الله لما يحب ويرضى ، وجعلك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا  
الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ  
الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .  
إنك لو سألت أحداً من البشر ...

ما الحكمة من خلق الطعام ؟ لقال لناكله ...

ما الحكمة من خلق الماء ؟ لقال لنشربه ...

ما الحكمة من خلق الهواء ؟ لقال لتتنفس منه ...

قال : هذا لا يختلف فيه اثنان ، أو يشك فيه إنسان .

قلت : فاسمع وأجب ...

ما الحكمة من خلق عقلك ؟ قال : أميز به ما ينفعني وما يضرني وأعقل به ...

ما الحكمة من خلق قلبك ؟ قال : أتفكر به ...

ما الحكمة من خلق عينيك ؟ قال : أبصر بهما ...

ما الحكمة من خلق أذنيك ؟ قال : أسمع بهما ...

ما الحكمة من خلق يديك ؟ قال : آخذ وأعطي وأكل وأكتب بهما ...

ما الحكمة من خلق رجلك ؟ قال : أمشي بهما ...

ما الحكمة من خلق لسانك ؟ قال : أتكلم به ...

ما الحكمة من خلق جهازك الهضمي ؟ قال : أهضم به الطعام ...

قلت : إن هذه الأعضاء جميعاً لها حكمة ، وهي أجزاء تخدم الكل ... وهذا الكل وهو الإنسان

أليس له حكمة ...؟ أيكون خلق أجزائه في منتهى الحكمة ، ويخلو هو من الحكمة ...؟ :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون/ ١١٥] .

قال : قد قالوا ... إن حكمته أن يأكل ويشرب وينعم بما شاء ...

قلت : فليأكل وليشرب ولينعم بما شاء مما أحل الله ، ولا يستنكف عن عبادة ربّه الذي خلقه

ورزقه وإلا كان أضل من الحيوان ... قال : كيف ؟

قلت : إن الحيوان يأكل ويشرب وينعم بما شاء ، لكنه دائماً في خدمة من هو فوقه وهو الإنسان ركوباً وأكلاً وشرباً ، على أنه قد يحسن الإنسان إلى الحيوان أحياناً ، فكيف بالله الذي نعمه علينا لا تُعدّ ولا تُحصى ... وإحسانه الذي ملأ الأرض والسماء ... له الخلق والأمر وحده ... ويده خزائن السموات والأرض ... ألا نعبده ... ألا نشكره ... ألا نرجوه ... ألا نخافه ... ألا نطيعه ... ألا نستغفره ... ألا نستغيث به ... ألا نتوكل عليه ... ألا ندعوه .

إن ذلك لا ينبغي إلا لله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢] .  
إنك لو طوّفت في بقاع الأرض كلها ، وسألت أهلها جميعاً ...

هل لخذاء الإنسان من حكمة ؟ لأجابوك إجابة واحدة ... إنها تحمل الإنسان ، وتقيه أذى الحرِّ والبرد ... فإذا سألتهم عن هذا الإنسان وقلت : حذاؤه له حكمة ، وهو هل له حكمة ...؟ لوجدت أكثرهم لبعده عن الله لا يشفي جوابه ، ولا يُعقل حديثه ... رأيت جحوداً وتعطيلاً للعقل والفكر أعظم من هذا ...؟ : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَازَيْنَاهَا وَمَاهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨] .

واه لعقول صنعت القطار والطائرة ، واكتشفت الذرّة والقنبلة ، وشيدت القصور ، وزرعت البقاع والسهول ، وملاّت أقطار الأرض بالمصنوعات والأعاجيب ...  
واه لها ... كيف لا تعرف ربّها ...؟ وكيف لا تعرف نفسها ...؟ : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج/ ٤٦] .

ألا ما أظلم الإنسان لنفسه ... وما أظلم الإنسان للإنسان ... إن قلباً لا يفقه ، وعيناً لا تبصر ، وأذناً لا تسمع ، لجديرة بأن تورّد صاحبها سواء الجحيم : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩] .

يا صاحب العقل والفكر إن الله هو الذي خلق السموات والأرض وحده ، فأعمل عقلك وفكرك كيفما شئت فلن تجد غيره : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣١) فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس / ٣١-٣٢] .

يا صاحب العقل والقلب ، والسمع والبصر ، إن الله هو الذي سخر لنا ما في السموات وما في الأرض وحده ... فاعقل وفكر ، واسمع وأبصر كيفما شئت ، فلن تجد ذلك إلا لله وحده : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِّمٌ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (٥٠) [الذاريات / ٥٠] .

يا صاحب العقل والفكر ، إن رحمة الله ولطفه بالخلق ملأت السموات والأرض ، فتدبر ذلك وتأمله ، فلن تجد ذلك أبداً إلا لله وحده : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) [الحشر / ٢٢] .

يا صاحب العقل والقلب والبصر .. إن الله له الملك والخلق والأمر وحده ... ومنه الرزق وحده ... بيده الملك وهو على كل شيء قدير : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلِيمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣١) [آل عمران / ٢٦] . لو فكرت عقول البشرية جمعاء تفكيراً بلا هوى لما وجدت ولن تجد ذلك كله إلا لله وحده ... الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، ولكنه الكبر والعناد : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَعَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣) [الأنعام / ٣٣] .

اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الفتن ، ومن علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) [آل عمران / ٨] .

## خلق الله الإنسان مختاراً

قد ترى فلاناً من الناس تارة يتصدق ويحسن ، وتارة يبخل ، فإذا ما طُلب منك الحكم عليه وسئلت ، هل هو كريم أم بخيل ...؟ ترددت في الجواب ، لأنه يصدر منه تارة الإحسان والمعروف ، وتارة البخل ... ومثل ذلك أفعال الإنسان ... إن كل واحد منا تصدر منه أفعال يرى نفسه مخيراً فيها ... يختار ما شاء ... يلبس ما شاء ... يأكل ما شاء ... يشرب ما شاء ... يتكلم متى شاء ... يقوم ويجلس ... يطيع ويعصي ...

وبالمقابل تصدر منه أفعال يرى نفسه مسيراً فيها لا خيار له ... يدق قلبه ولا خيار له فيه ... ينمو جسمه ولا خيار له فيه ... يجري دمه ولا خيار له فيه ... ويعمل الجهاز الهضمي والعصبي والتنفسي ولا خيار له في واحد منها ، فما علة ذلك ؟ هل الإنسان مسير أم مخير ؟

لنظر ... إن فيه ما يدل على هذا وهذا : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات/ ٢١] .

إن الله شرف الإنسان بالعقل على سائر المخلوقات ... فالمخلوقات أنواع أربعة :

نوع لا عقل له ولا شهوة ... وهو الجماد والنبات .

ونوع له عقل ولا شهوة له ... وهم الملائكة .

ونوع له شهوة ولا عقل له ... وهو الحيوان .

ونوع له عقل وشهوة ... وهو الإنسان .

فأكرم هذه المخلوقات هو الإنسان الذي شرفه ربه بالعقل ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، ليقوم بعبادة ربه ، فيفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

أَسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا

تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

إن الجماد له جرم ولون وحيز، والنبات له ذلك ويتميز بالنمو، والحيوان له كل ذلك ويتميز

بالحس والحركة ، والإنسان له كل ذلك ويتميز بالعقل الذي يميز به بين البدائل ، بين ما يراه

نافعاً وما يراه ضاراً... فيختار... فالإنسان فيه من صفات الجماد، والنبات، والحيوان<sup>(١)</sup> .

(١) القرآن معجزة ومنهج - للشعراوي .

فما فيه من صفات الجماد ، والنبات والحيوان فهو مسخرٌ ومسير فيه ، لا خيار له في ذلك أبداً ... فالإنسان له جرم ولون وحيز كالجماد وهو مسيرٌ فيه ، وهو ينمو كالنبات وهو مسيرٌ فيه ... وهو يحسّ ويتحرك ، ويعمل بداخله الجهاز الهضمي والدموي والعصبي والتنفسي ، وهو مسيرٌ في ذلك كالحيوان لا خيار له فيه .

وهذا منتهى الرحمة واللطف ، حيث جعلها الله كلها بعنايته وحفظه ، ولم يتركها للإنسان ، لأنه ينام وينسى ويضعف : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء/ ٤٢] .

فما في الإنسان من صفات الجماد والنبات والحيوان فهو مسيرٌ فيها برحمة الله .  
ومتى يكون الإنسان مختاراً ؟

يكون الإنسان مختاراً في دائرة العقل فقط ... العقل الذي يُعرض عليه الحكم والفعل ، والأمر والنهي ، فيختار ويميز بين أن يفعل هذا ، أو يفعل هذا .

فيختار ما يراه صالحاً كما قال الله تعالى : ﴿ اِنَّ هٰذِهِ تَذٰكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ اِلٰى رَبِّهِ سَبِيْلًا ﴾ [الإنسان/ ٢٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ [الكهف/ ٢٩] .

فإذا عرف الحق فإن اتبعه دخل الجنة ... وإن كفر به دخل النار : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوْا مِنْهَا جَمِيْعًا فَاِمَّا يٰٓاْتِيَنَّكُمْ مِّنِّيْ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴾ [البقرة/ ٣٨-٣٩] .

ومن هنا نعلم أن التكليف لا يكون إلا على من يعقل ، فإذا فقد العقل الذي يميز به بين البدائل ، بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين الصدق والكذب ، ارتفع التكليف ... ألا ترى أنه لا تكليف على المجنون والصغير والنائم ، لغياب العقل أو عدم نضجه .

قال النبي ﷺ : « رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » أخرجه أحمد والنسائي<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٤٦٩٤) ، والنسائي برقم (١٥٦/٦) .



إن الله أحلَّ الطيبات ، وحرَّم الخبائث ، وأمر بالنكاح ، ونهى عن الزنا ، وحثَّ على الصدق ونهى عن الكذب ، وأمر بالإيمان ، وحثَّ من الكفر : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ [النحل/ ٣٦] .

هنا يأتي دور العقل ، فيختار أحد الطريقين ، ويكون الثواب والعقاب حسب الاختيار ، والعقل قاصر لا يدرك كنه كل شيء ، ولا يستقل بمعرفة كل ما ينفع ، وكل ما يضر ، فكانت بعثة الرسل ، وإنزال الكتب ، تُعرِّفه وتهديه إلى ما ينفعه في دنياه وآخرته .

وليس في اختيار العبد خروج عن مشيئة الله ، فإن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، له الخلق والحكم والأمر كله ، لو أراد أن يهدي الناس جميعاً لفاعل ، لا مانع يمنعه ، ولا معقب لحكمه : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام/ ١٤٩] .

ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل تركهم لمحض إرادتهم ، وخلق بينهم وبين العمل ، بعد أن عرفهم الحق ، لتكون عبادتهم عن اختيار لا عن إكراه وإجبار ، ابتلاءً منه سبحانه : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [٢] ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [٣] [الإنسان/ ٢-٣] .

إن الله سبحانه خلق المخلوقات على قسمين :

مخلوقات مسخرة في طاعة الله ، وهي جميع المخلوقات سوى الإنس والجن .

ومخلوقات مخيرة إن شاءت أن تؤمن أو تكفر ، وإن شاءت أن تطيع أو تعصي ، وهؤلاء هم الإنس والجن : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥٦] ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾ [٥٧] ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [٥٨] [الذاريات/ ٥٦-٥٨] .

والله يحب من يأتي إليه اختياراً ، وهو قادر ألا يأتي ، وهو الحكيم الخبير في خلقه وأمره : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [١٨] [الحج/ ١٨] .

فيختار الإنسان ما يشاء ، وانما يسعد أو يشقى بنوع اختياره : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢٥٦] [البقرة/ ٢٥٦] .

## أفعال العباد

إن الله سبحانه وتعالى قد كتب مقادير الخلائق وأحصاها، وخلق كل شيء فقدره تقديراً كما قال سبحانه:

﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۗ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۗ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ

مُذَكِّرٍ ۗ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۗ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ۗ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فكل شيء مقدر ومكتوب: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۗ ﴿٢١﴾ ﴾ [النبأ/ ٢٩].

وقال رسول الله ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فالخلق والأمر لله وحده، قد أحاط بكل شيء علماً: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ ﴿١٤﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وقد فطر الله الناس على التوحيد: ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلِيَّهَا لَا بُدَّ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ

الَّذِينَ الْفَيْعُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/ ٣٠].

وما كان من جنوح الإنسان إلى الشر، فسببه فساد الفطرة التي قد تؤثر فيها البيئة.

قال النبي ﷺ: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وكان الناس في أول عهدهم أمة واحدة على التوحيد، فلما اختلفوا بعث الله النبيين مبشرين

ومنذرين، لإزالة الخلاف، وإرجاع الناس إلى الحق، رحمة منه وفضلاً: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۗ ﴿٢١٣﴾

[البقرة/ ٢١٣].

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ... وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ ... وَعَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ ... وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ، في

كتاب لا يضل ربي ولا ينسى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۗ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج/ ٧٠].

فأفعال العباد كلها معلومة لله، مكتوبة في اللوح المحفوظ ... وليس معنى هذا أن الله أجبر العباد

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٥٨)، ومسلم برقم (٢٦٥٨).

وألزمهم بهذه الأفعال خيرها وشرها ... وإنما علم الله بالأفعال بالنسبة إلينا علم انكشاف ، لاننا ضعاف وعلمنا محدود ، والله قد أحاط بكل شيء علماً ... فأئى فعل من أفعال العباد إنما يظهر من اللوح المحفوظ ، ويفعله العباد كما علمه الله ، فإن الله سبحانه علم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، خلق كل شيء ، وعلم كل شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فإن الله قد علم أفعال العباد كلها ، وكتبها في اللوح المحفوظ ، لا ليُلزم بها العبد ، وإنما لأنه عالم بالعبد وفعله ... فقد علم سبحانه بأن عبده فلان يولد في وقت كذا ... ويكون كافراً أو مؤمناً ... طائعاً أو عاصياً ... من أهل السعادة أو من أهل الشقاوة ... لأنه أحاط بكل شيء علماً : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك/ ١٤] .

فكل ما يفعله العباد ، وكل ما يجري في الكون ، إنما يقع مطابقاً لما في اللوح المحفوظ كما علمه الله وكتبه ... ويفعل الله ما يشاء ، لا راداً لفضائه ، ولا معقب لحكمه ، له الملك وله الحمد : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد/ ٣٩] .

إن أفعال العباد علمها الله كلها ، وأحصاها كغيرها : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ [النبأ/ ٢٩] . وعن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم أحد ، وما من نفس منقوسة إلا قد كتبت مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » ، قال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ قال : « أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاء » ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ مِنَ الْجَنَّةِ يُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ « متفق عليه <sup>(١)</sup> .

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله علم أهل الجنة من أهل النار ، وأنه كتب ذلك ، ونهاهم أن يتكلموا على هذا الكتاب ويدعوا العمل كما يفعله الملحدون .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٩٤٨) ، ومسلم برقم (٢٦٤٧) .

وقد يقال ... ما دام أن الله قد كتب عليّ أني من أهل الطاعة ، أو من أهل المعصية ، ففيم العمل إذا...؟

فنقول : هل اطلعت على اللوح المحفوظ ، وعلمت منه أنك من أهل الجنة أو أهل النار ؟ لم تطّلع وليس ذلك إليك ، وإنما ذلك يعلمه الله وحده : ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٦٦) إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٦٧﴾ [الجن/٢٦-٢٧] .

وقد علمنا أن علم الله بالأفعال والمصائر علم انكشاف بالنسبة لنا ، بمعنى أن الله سبحانه علم كل أفعال العباد قبل أن يخلقهم ويخلق أفعالهم ، وكتبها في اللوح المحفوظ ، وكل أحد لا يدري بم يختم له ، ولكن عليهم أن يعملوا وكل ميسر لما خلق له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إن الله سبحانه يعلم الأمور على ما هي عليه وقد جعل للأشياء أسباباً تكون بها ... فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب ... علم أن هذا يكون سعيداً في الآخرة ، وهذا شقيماً في الآخرة ، ذلك لأنه يعمل بعمل الأتقياء ، فالله علم أنه يشقى بهذا العمل ... الخ .

إن الله قادر على كل شيء ، فلم يقع شيء من أفعال العباد إلا وقد علمه قبل أن يقع ، ولو شاء لأجبرنا على الفعل ، ولكنه رحيم رؤوف بالعباد ، لم يكلفهم إلا بشيء هم قادرون على فعله أو عدم فعله ابتلاءً منه ، يَبِّنْ لَهُمُ الْحَقَّ وَوَهَبَهُمُ الْعَقْلَ وَتَرَكَهُمْ يَخْتَارُونَ : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف/٢٩] .

وقد جعل الله لكل شيء سبباً ، فما عند الله ينال بأسبابه التي شرعها ، فالدنيا لها أسباب ، والجنة لها أسباب ، والنار لها أسباب ، وقد أمرنا الله بفعل الأسباب فقال : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسُجِدُوا وَعُودُوا رَبِّكُمْ وَأَقْبَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧٧) [الحج/٧٧] .

ورتب الثواب والعقاب على اختيار العبد ، فمن آمن وعمل صالحاً أعانه الله وأدخله الجنة : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَقَىٰ﴾ (٥) ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنَىٰ﴾ (٦) ﴿فَسَنِيْرُهُ لِلْبُسْرَىٰ﴾ (٧) [الليل/٥-٧] ، ومن كفر وردَّ الحقَّ أدخله الله النار : ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ (٨) ﴿وَكَذَبَ بِالْحَسَنَىٰ﴾ (٩) ﴿فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ (١٠) [الليل/٨-١٠] .

فالله يعين من يقبل عليه ويؤمن به : ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَءَانَّهُمْ نَقَدْتَهُمْ﴾ (٧٧) [محمد/١٧] . ومن كفر وأعرض عن الله فإن الله لا يهديه : ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا

أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ [آل عمران/ ٨٦].

إن جميع التكاليف الشرعية للإنسان قادرٌ أن يفعلها أو لا يفعلها... خلقه الله صالحاً للعمليتين :  
﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٢﴾ [الإنسان/ ٣].

أي دللناه على الطريق المستقيم ، فإما شاكراً لأنعم الله وإما كافراً بأنعم الله ، فهو صالح لأن يفعل هذا أو يفعل هذا والذي يرجح العقل ، والنفس سالحة لأن تكون فاجرة أو تقية : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ [الشمس/ ٧-٨].

وحيثما اتجهت النفس كان الثواب والعقاب ، فإن أطاعت فلها الجنة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ [الشمس/ ٩] ، وإن عصت فلها النار : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس/ ١٠].

فالتوجه إلى أحد الطريقتين هو محل الحساب عند رب العالمين... فالطاعة والمعصية باختيار العبد ، وجعل الله الثواب والعقاب على هذا الاختيار : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ [فصلت/ ٤٦].

وقال ﷺ في الحديث القدسي : « يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> .  
وكل شيء يقع في الكون وإنما يقع بمشيئة الله ، وكل خير وقع فإنما أَرَادَهُ اللهُ كَوْنًا وَشَرَعًا ، وكل شر وقع فإنما أَرَادَهُ اللهُ وَقُوعَهُ كَوْنًا لَا شَرَعًا ، لأنه لا يقع في ملكه شيء إلا بإذنه وعلمه ومشيئته : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ [ص/ ٨٧].

والله ﷻ بيده الخير كله ، والشر ليس إليه ، وكل أفعاله في ملكه خير ، وكل شر وقع فهو مقرون بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق ، والخير والشر إنما وقع بقضاء الله وقدره : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ [النساء/ ٧٨].

وجميع أنواع الخير والحسنات كلها من الله ، وجميع أنواع الشرور والسيئات من العبد : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ [النساء/ ٧٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

## سبيل الفوز والنجاة

إن الإسلام دين عالمي ينظم حياة الفرد ، وحياة المجتمع ، وحياة الأمة ، في المصنع والمنزل ...  
في البر والبحر ... في السفر والحضر ... في الشدة والرخاء ... مع الذكر والأنثى ... مع  
الصديق والعدو ... مع القريب والبعيد ...

إنه دين كامل نظم أمور الحياة كلها : ﴿ أَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [ المائدة/ ٣ ] .

فلنأخذ به في أمور حياتنا كلها ، لنسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ  
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِهُ تُحْشَرُونَ ﴾ [ الأنفال/ ٢٤ ] .

إن الإسلام دين الله للبشرية كلها في الأحوال كلها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ  
كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [ البقرة/ ٢٠٨ ] .  
إن الإسلام نقل أمة العرب من الجاهلية الكبرى إلى حكم الإسلام ... في الأخلاق والسلوك ...  
في التربية والتعليم ... في النظم والعلاقات .

نقلهم من الكفر إلى الإسلام ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الفرقة  
إلى الوحدة ، ومن الظلم إلى العدل .

فلنأخذ منه أخلاقنا ، وسلوكنا ، وعلومنا ، ونظمنا ، وعباداتنا ، ومعاملاتنا ... ففيه تبيان كل شيء :  
﴿ وَزَلَّنا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [ النحل/ ٨٩ ] .

إن الإسلام نقل أمة العرب من العصبية القبلية والفوارق الاجتماعية ، والحروب الطاحنة ،  
إلى خير أمة أخرجت للناس ، إلى أمة موحدة ... ربها واحد ... وكتابها واحد ... وقبلتها  
واحدة ... ورسالتها واحدة ... واستطاعت بهذه الوحدة أن تتخطى حواجز العقول والقلوب ...  
وأن تقدم الإسلام للناس برفق وحكمة وعدل ... فدخل الناس في دين الله أفواجاً ...  
وأشرقت شمس الإسلام في أصقاع المعمورة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ  
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [ التوبة/ ٣٣ ] .

إن الإسلام دين الله للبشرية كلها ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فيجب علينا إبلاغه للناس كافة : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيَسْئَلُوا بِهِ ، وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَجِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

فلنأخذ بهذا المنهج العظيم كما أنزله الله هدى وشفاء ، وندعو إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

إن الإسلام نقل أمة العرب من أمة تنام على السكر والقمار ، وعبادة الأوثان ... وتعكف على أبواب الكهان والسحرة ... وتأكل الربا ... وتستحل الزنا ... إلى أمة مسلمة لربها ... تأكل الطيبات ... وتتحلى بالفضائل ... وتعبد الله وحده ... وتدعو إلى الله وحده ... لا تبغي بالإسلام بدلاً ... ونزع الله بالإسلام قشرة الجاهلية الضالة ، وظهر الإنسان كما فطره الله .

صادقاً في إيمانه ... حسناً في أخلاقه ... كريماً في إنفاقه ... قوياً في جهاده ... طيباً مع أهله وجيرانه وإخوانه ... مخلصاً في عبادته ... شاكراً لربه ... مطيعاً لله ورسوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

فلنأخذ بما أمرنا الله ورسوله به ، لنفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٧١] .

ألا ما أحوجنا إلى العالم الذي يُعَلِّمُ بصدق وإخلاص ... والطبيب الذي يعالج برحمة وحب ... والبائع الذي يبيع بأمانة وصدق ... والعامل الذي يعمل بإخلاص وتفان ... والزَّارِعُ الذي يزرع بنية صادقة وعزيمة نافذة ... والعابد الذي يعبد ربه بإخلاص وخشوع .

إيمان وطاعة ... عبادة ودعوة ... صدق وإخلاص ... حب ورحمة ... صبر وأمانة .

ألا ما أطيب هذه الجواهر ... إنها أعلى من الذهب : ﴿ وَالْعَصْرُ ۝ ١ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفْرٌ ۝ ٢ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝ ٣ ۝ ﴾ [العصر/ ١-٣] .

ألا ما أعظم هداية كتاب ربنا ... فلنأخذ به فيه الهداية لكل خير : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء/ ٩] .

إن الله سميع قريب مجيب ... فلندعوه ... ونستغفره ... ونستجيب له ... ونتوب إليه ...  
أليس الله يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا  
لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

ألا ما أكثر الذنوب والمعاصي التي اقترفناها ... فهل نرجع إلى الله ونتوب إليه ... إن الله  
ينادينا: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ  
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/ ٥٣].

إن ربك الرحمن الرحيم جعل لأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام ، يتطهرون بها في الدنيا ، فإن لم  
تف بطهرهم ، طهروا في نهر الجحيم يوم القيامة : نهر التوبة النصوح ، ونهر الحسنات المستغرقة  
للأوزار المحيطة بها ، ونهر المصائب العظيمة المكفرة : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ  
اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

ألا ما أعظم جهلنا بحق ربنا ... وما أشد ظلمنا لأنفسنا ... فهل نتوب إلى الله لعله أن يرحمنا  
ويغفر لنا ... إن الله يقول : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمَلْ مِنكُمْ سُوءًا مَّجْهَلًا لَّمْ  
يَعْلَمْ مَن لَّدَى اللَّهِ عَفْوَ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

ألا ما أشد عقوبة الظلم والظالمين ... فلنبتعد عن الظلم والظالمين ، لننجوا من عذاب النار : ﴿وَلَا تَتَّكِبُوا  
إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود/ ١١٣].  
ألا ما أعظم فتنتنا بالحياة الدنيا ... وما أشد غفلتنا عن الآخرة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا  
تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر/ ٥].

فهل نتقي الله ، ونقدم الأعمال الصالحة ... للحياة الباقية ... نسأل الله أن يهدينا : ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا  
قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء/ ٧٧].

ألا ما أشد عداوة الشيطان للإنسان ، وما أعظم إغواءه ، فلنبتعد عن الشيطان ... ونحذر من  
كيدته وتضليله ... لقد قال ربنا : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ  
أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر/ ٦].

ألا ما أعظم الشرك والمعاصي ... وما أشد العقاب لمن وقع في ذلك ... فهل نتوب إلى الله  
من كل شرك ومعصية لننجوا من النار : ﴿وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ  
نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء/ ١٤].



ألا ما أحسن الإيمان والاستقامة على الهدى ... وما أخطر اتباع الأهواء والأعداء ...  
 فلنستقم على الهدى ... ولا نتبع أهواء الأعداء فإن الله يقول: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا  
 أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا  
 أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَأَحْجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ [الشورى/ ١٥].

ألا ما أسعد من أطاع الله ورسوله ... عِزَّة وسعادة في الدنيا ... وجنات تجري من تحتها  
 الأنهار في الآخرة: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ [النساء/ ١٣].

ألا إن الله أكرمنا بقرآن نهتدي به ... ورسول نقتدي به ... وعقل نميز به ... فلنسارع إلى الخيرات  
 لنفوز بمغفرة الله وجنته: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ  
 أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ  
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

ألا إن الفلاح حقاً، والسعادة حقاً، لمن آمن بالله ورسوله ... وعبد الله واتقاه واستقام على دينه ...  
 فهل نطيع الله ورسوله ... ونعبد الله كما أمر ... ونستقيم على دينه ... اللهم اهدنا سواء  
 السبيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا  
 وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا  
 تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .  
 وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .  
 ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾  
 [الصفات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا  
 الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ [هود/ ٨٨].

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتنزل البركات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أخي المسلم الكريم : إنما الخير والنصح أردت في تحرير هذه الأوراق ، والمؤمنون نصحة بررة وأحباب كرام .

فإن رأيت صواباً فانتفع به وبلغه ، وفقك الله ونفع بك ، ولا تنسنا من دعائك الصالح ، غفر الله لنا ولك ولجميع المسلمين .

وإن رأيت خطأ فادع الله لي بالمغفرة غفر الله لك ، ونبهني ، فكل بني آدم خطاء ، وإنما المؤمنون إخوة نصحة .

وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم وفقنا للعمل بكتابك واتباع سنة نبيك محمد ﷺ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦] .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

# فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٨	الصلاة
١٦	الغنية والنميمة
١٨	إضاعة الوقت
٢٠	الغناء والمعازف
٢٣	الخمير
٢٥	اللحية
٢٩	الربا
٣١	أمة كريمة ومصيبة عظيمة
٣٦	من أين أصيبت الأمة
٤٤	القرآن شفاء
٤٦	رؤية الخالق
٤٩	الفوز والفلاح
٥٢	الله الخلق والأمر
٥٩	أفضل المخلوقات
٦٦	خلق الله الإنسان مختاراً
٦٩	أفعال العباد
٧٣	سبيل الفوز والنجاة
٧٧	الخاتمة
٧٨	الفهرس

